فيروس كورونا

-و-

المسيح

جون بايبر

الصورة
elsoora.org

Originally published as *Coronavirus and Christ*.
Copyright ©2020 by Desiring God Foundation.

فيروس كورونا والمسيح

جون بايبر

خدمة «**الصورة**» ©2020
الكنيسة الإنجيلية بسيدي بشر قبلي،
الإسكندرية — مصر
www.elsoora.org

ترجمة: **أمير سامي**
مراجعة: **شيري عوض**
المُحرّر العام: **شريف عاطف فهيم**

جميع حقوق الطبع في اللغة العربية محفوظة للناشر وحده، ولا يجوز استخدام أو اقتباس أو طبع أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال بدون إذن خطّي مُسبَق من الناشر، وللناشر وحده حق إعادة الطبع.

كل الاقتباسات من الكتاب المُقدَّس مأخوذة من ترجمة فاندايك - البُستاني، إلّا إذا ذُكِر غير ذلك.

خدمة الصورة

لمزيدٍ من المعلومات عن خدمة الصورة على مواقع التواصُل الاجتماعي فيسبوك، وتويتر وإنستجرام، وقناتنا على اليوتيوب، برجاء الضغط على الصور أدناه، أو زوروا موقعنا الإلكتروني elsoora.org

جدول المحتويات

مناسبة الكتابة: فيروس كورونا ١

الجزء الأوَّل: الإله المُتسلِّط على فيروس كورونا

الفصل الأوَّل: هيَّا إلى الصخرة ٥

الفصل الثاني: أساسٌ متين ٢٠

الفصل الثالث: هذه الصخرةُ بارَّة ٣١

الفصل الرابع: له سلطانٌ على الكلّ ٤٢

الفصل الخامس: حلاوةُ سلطانه ٥٤

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

أفكارٌ تمهيديَّة: رؤيةٌ وتوجيهُ أنظار ٦٦

الفصل السادس: إظهارُ البشاعة الأدبيَّة للخطيَّة ٧٥

الفصل السابع: إيقاعُ دينوناتٍ إلهيَّةٍ خاصَّة ٨٦

الفصل الثامن: نداءُ صحوةٍ للاستعداد للمجيء الثاني ٩١

الفصل التاسع: إعادةُ تناغُمنا مع القيمة غير المحدودة للمسيح ٩٧

الفصل العاشر: إيجاد أعمالٍ حَسَنةٍ وسطَ الخطر ١١٣

الفصل الحادي عشر: خلخلَةُ جذورنا كي نذهب إلى الأمم ١٢٦
صلاةٌ ختاميَّة ١٣٢
الملاحظات ١٣٥

مناسبة الكتابة:
فيروس كورونا

أَلَّفتُ هذا الكتاب الصغير في الأيَّام الأخيرة من شهر آذار/مارس من عام ٢٠٢٠م، في بدايات تفشِّي الوباء العالميِّ المعروف بِاسْم فيروس كورونا، أو الشهير باختصار «COVID-19» (مرض فيروس كورونا ٢٠١٩). يؤثِّر هذا الفيروس في الرئتَين، وفي أسوأ الحالات، يسبِّب الوفاة بفعل الاختناق.

ورد تقريرٌ عن أوَّل حالة وفاة بهذا الفيروس في الصين، في ١١ كانون الثاني/يناير ٢٠٢٠م. وبينما أكتبُ اليوم، هناك مئات الآلاف من حالات الإصابة حول العالم، وعشرات

الآلاف من الوفيات. ولا يوجد علاج معروف له — حتَّى الآن.

في الوقت الذي تقرأ فيه هذه الكلمات، ربَّما صارت لديك معلوماتٌ أكثر منِّي عن كيفية تطوُّر الأحداث. لذلك، لا داعي للخوض في تفاصيل الإجراءات التي تُتَّخذ لإبطاء انتشار الفيروس، أو الخسائر الاقتصاديَّة التي أدَّى إليها هذا. كما أنَّ الاختلاطَ الاجتماعيَّ والسفر، علاوةً على المؤتمرات، والتجمُّعات الكنسيَّة، والمسارح، والمطاعم، وكذلك الأحداث الرياضيَّة، والشركات والأعمال — على وشك التوقُّف التامّ.

لا يُعدُّ هذا أمرًا غير مسبوق — سواءٌ على الصعيد العالميِّ أم في أمريكا. فبسبب وباء الإنفلونزا العالميِّ[١] الذي انتشر في عام ١٩١٨م (بحسب تقديرات مراكز مكافحة الأمراض السارية)، تُوُفِّيَ خمسون مليون شخص حول العالم،[٢] من بينهم أكثر من خمس مئة ألف شخص من الولايات المتَّحدة. كان الناس

يشعرون بأعراض المرض في الصباح، ويموتون بحلول المساء. كانت الجثامين تؤخَذ من الشرفات الأماميَّة للمنازل، وتُنقَل إلى قبور حفرتها الجرَّافات. وقد أُطلِق الرصاص ذات مرَّة على أحد الأشخاص لعدم ارتدائه قناعًا واقيًا. أُغلِقت المدارس، وبدأ الخدَّام ورعاة الكنائس يتحدَّثون بشأن معركة هرمجدُّون.

قطعًا، لا تُثبِت السوابق شيئًا. فالماضي هو أشبه بتحذير، وليس قَدَرًا محتومًا. ورغم ذلك، فإنَّنا نشعر في هذا الوقت بهشاشة هيئة هذا العالم. فالأساسات التي كانت تبدو متينة آخذةٌ بالاهتزاز. والسؤال الذي ينبغي أن نطرحه الآن هو: هل تقفُ أقدامنا على صخرة — صخرةٍ لا يمكن أن تتزعزعَ بتاتًا؟

الجزء الأوَّل:

الإله المُتسلِّط

على

فيروس كورونا

الفصل الأوَّل:
هيَّا إلى الصخرة

مـا دفعنـي إلى الكتابـة هـو لأقـول إنَّ الأرقـامَ والاحتـمالاتِ والنسـبَ المئويَّـةَ أسـاسٌ هـشٌّ جـدًّا لا يصلح أن نضعَ رجاءَنـا عليـه. هنـاك احتـمالات مـن قبيـل ٣٪ في مقابـل ١٠٪، أو الشـباب في مقابـل كبـار السِّـنّ، أو ضعـف الصحَّـة في مقابـل عـدم وجـود تاريـخ مـرضيّ، أو المناطـق الريفيَّـة في مقابـل المناطـق الحضريَّـة، أو العـزل الـذاتيِّ في مقابـل الزيـارات الاجتماعيَّـة للأصدقـاء في المنـزل. لا يمدُّنـا هـذا التطلُّـع إلى النسـب المئويَّـة والاحتـمالات بالرجـاء. وليـس هـذا موضعًـا ثابتًـا يمكننـا الوقـوف عليـه.

هنــاك طريــقٌ أفضــل، وموضــعٌ أفضــلُ بإمكاننــا الوقــوف عليــه: صخــرةُ يقــينٍ بــدلَ رمــال الاحتــمالات.

عندما حلَّ السرطان

أتذكَّـر أنَّنـي تلقَّيـتُ في ٢١ كانـون الأوَّل/ديسـمبر مـن عـام ٢٠٠٥م خـبرَ تشـخيص إصابتـي بسرطـان البروسـتاتا. وطَـوال أسـابيعَ عـدَّة تلت ذلـك، كانت الأحاديـث كلُّهـا تـدور حـول الاحتـمالات والنسـب المئويَّـة، مــن قبيــل احتــمالات الانتظــار دون فعـل شيء، واحتـمالات تنـاوُل أدويـة، واحتـمالات العـلاج التجانُـسيّ،[٣] واحتـمالات الجراحـة الجذريَّـة. كنـتُ وزوجتـي، نويـل، نأخـذ هـذه الأرقـام عـلى مَحمَـل الجِـدّ. أمَّـا في المسـاء، فكنَّـا نبتسـم أحدُنـا للآخـر ونفكِّـر هكـذا: **لا يكمُـن رجاؤنـا في الأرقـام والاحتـمالات، بـل رجاؤنـا هـو في الله.**

لم نكُـنْ نقصـد بهـذا أنَّ مـن المؤكَّـد بنسـبة ١٠٠٪ أنَّ الله سيشــفيني، في حــين ليــس في وُســع

الأطبَّاء سوى أن يقدِّموا لي بضعة أرقام واحتمالات، بل كانت الصخرة التي نتحدَّث بشأنها أفضل من ذلك؛ أجل، أفضل من الشفاء ذاته.

فحتَّى قبل أن أتلقَّى تلك المكالمة الهاتفيَّة من الطبيب التي أخبرني فيها بأنَّني مريض بالسرطان، كان الله قد ذكَّرني بطريقةٍ واضحةٍ ورائعة بالصخرة التي أقفُ عليها. فبعد انتهائي من فحصي السنويِّ المعتاد، نظرَ إليَّ طبيب المسالك البوليَّة وقال لي: «أودُّ أخذَ عيِّنة من الأنسجة للفحص».

قلتُ في نفسي: «حقًّا؟» وسألتُ الطبيب: «متى؟»

أجابني: «الآن، إذا كان لديك الوقت».

«سأخصِّص الوقت لذلك».

وبينما كان الطبيب ذاهبًا ليحضِّر الأدوات؛ وبينما كنتُ أغيِّر ثيابي لأرتديَ رداءَ المستشفى

الأزرق المعتاد وغير الجذَّاب، أتيح لي بعض الوقت للتفكير في ما يحدث. «يعتقد الطبيب إذًا أنَّني قد أكون مريضًا بالسرطان». وبينما بدأ مستقبلي في هذا العالم يتغيَّر أمام عينيَّ، استحضر الله إلى ذهني شيئًا كنتُ قد قرأته في الآونة الأخيرة في الكتاب المقدَّس.

تكلَّم الله

فلنكُنْ واضحين معًا. أنا لا أسمع أصواتًا، على الأقلِّ لم يحدث لي هذا من قبل. لكنْ تَكمُنُ جذور ثقتي في أنَّ الله يتكلَّم في حقيقةِ أنَّ الكتاب المقدَّس هو كلمته (سنستفيض في ذلك في الفصل التالي). فقد تكلَّم، مرَّة وإلى الأبد، ولا يزال يتكلَّم بواسطة كلمته. فحين يُفهَم الكتاب المقدَّس فهمًا صحيحًا، **فهو** صوت الله.

وإليكم ما تكلَّم به الله إليَّ في عيادة طبيب المسالك البوليَّة، بينما كنتُ أنتظر أخْذَ العيِّنة لفحص الأنسجة، والتي كان من شأنها

أن تؤكِّد ما إذا كنت مريضًا بالسرطان أم لا: «يا جون بايبر، ليس هذا غضبًا؛ فسواء عشتَ أم متَّ، سوف تكون معي». هذه إعادة صياغة منِّي لكلام الله، لكنْ إليكم ما قاله بالفعل:

> «لأَنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْنَا لِلْغَضَبِ، بَلْ لاقْتِنَاءِ الْخَلاصِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي مَاتَ لأَجْلِنَا، حَتَّى إِذَا سَهِرْنَا أَوْ نِمْنَا نَحْيَا جَمِيعًا مَعَهُ» (١تسالونيكي ٥: ٩-١٠).

فسواء كنتُ مستيقظًا أم نائمًا — أي سواء عشتُ أم متُّ — سأكون حيًّا مع الله. كيف يمكن أن يكونَ هذا؟ أنا خاطئ، ولم يسبق لي أن عشتُ يومًا واحدًا من أيَّام حياتي — ولا يوم **واحد** — دون أن أوجَدَ دون مستوى مقاييس الله عن المحبَّة والقداسة. كيف يمكن إذًا أن يكونَ هذا؟ كيف يقدرُ الله أن يقول لي: «يا جون بايبر، ستكون معي، سواء عشتَ أم متَّ»؟

لم ينتظر الله أن أطرحَ هذا السؤال، فقد أجاب على الفور: هذا بسبب يسوع، يسوع وحده. فبسبب موته، لن يقع عليَّ غضبٌ. ليس هذا لأجل كمالي، بل لأنَّ خطاياي وذنوبي وعقوبتي قد وُضعَتْ على مخلِّصي، يسوع المسيح. فقد مات «عنَّا». هذا ما تقوله كلمة الله. لذلك، أُعتِقتُ من الذنب، ومن العقوبة، وصرتُ آمنًا في نعمة هذا الإله الرحيم. هذا ما قاله الله: «سواء عشتَ أم متَّ، ستكون معي».

يختلف هذا تمامَ الاختلاف عن التعلُّق بأرقامٍ واحتمالاتٍ ونسبٍ مئويَّة، سواء من جهة مرض السرطان، أم فيروس كورونا. هذه صخرةٌ راسخةٌ تحت قدميَّ؛ ليس هذا أساسًا هشًّا أو رمالًا. وأودُّ أن تقفَ قدماك أنت أيضًا على هذه الصخرة. ولهذا ألَّفتُ هذا الكتاب.

هل الصخرة صلبة فقط من جهة الحياة الآتية؟

لكنْ، ليس هذا كلَّ شيء. ربَّما يقرأ أحدهم هذا ويقول: «إنَّ أمثالكم من المتديِّنين لا يجدون رجاءهم إلَّا في الحياة الآتية. فإذا ضمنوا حياتهم ما بعد الموت، يكونون قد نالوا ما يريدون. لكنَّ 'صوت الله' هذا الذي يتحدَّثون بشأنه لا يقدِّم تدخُّلًا يُذكَر في الحياة الحاضرة. أعتقد أنَّ الله بدأ كلَّ شيء في الخلق، وكتب نهايات سعيدة، لكنْ ماذا عمَّا بينهما؟ أين هو الآن، في الوقت الحاضر، في أثناء تفشِّي فيروس كورونا؟».

حسنًا، أعتقد أنَّني أُضفي بالفعل قيمةً كبرى على الفرح في محضر الله بعد الموت، لمليارات لا تنتهي من السنوات، في مقابل آلامٍ ومعاناةٍ حاضرة لنَقُل إنَّها لا تنتهي. يبدو هذا معقولًا ومقبولًا عندي. لكنَّ الصخرة التي أقف عليها (تلك التي أودُّ أن يكون لك نصيبٌ

معي فيها) توجَدُ في الحقيقة تحت قدميَّ **الآن**. نعم، الآن!

فإنَّ وباء فيروس كورونا منتشرٌ حيث أعيش، بل حيث نعيش جميعًا. ولو لم يُصِبْني فيروس كورونا، فقد يصيبني السرطان الذي يتحيَّن الفرصةَ للظهور مجدَّدًا، أو الجلطة الرئويَّة التي لا سببَ لها، والتي لا تزال موجودةً منذ عام ٢٠١٤م، وتنتظر الفرصة للتحرُّك، والذهاب إلى الدماغ، محوِّلة إيَّايَ إلى رجلٍ بلا عقل، لن يتمكَّنَ من كتابة جملة واحدة أخرى لاحقًا، أو حتَّى مئة بليَّةٍ أخرى مفاجئة يمكن أن تقضي عليَّ- أو عليك — في أيَّة لحظة.

الصخرة التي أتحدَّثُ بشأنها موجودةٌ تحت قدميَّ الآن. **في وسعي** أن أقول إنَّ الصخرة موجودةٌ تحت قدميَّ الآن فقط؛ لأنَّ الرجاء ما بعد الموت هو رجاءٌ **حاضر**. صحيحٌ

أنَّ **موضوع** الرجاء نفسه مستقبليٌّ، لكنَّ **اختبار** الرجاء حاضرٌ. وهذا الاختبار الحاضرُ قويٌّ.

إنَّ الرجاء قوَّةٌ حاضرة؛ فهو الذي يمنع الناس من قتل أنفسهم — الآن. وهو الذي يساعدهم على النهوض من الفراش والذهاب إلى العمل — الآن. وهو ما يعطي معنى للحياة اليوميَّة، حتَّى لو كانت حياة حبيسة، أو في حَجْر صحِّيّ، أو فُرِض عليها أن تلزم المنزل — الآن. وهو يحرِّرُ من أنانيَّة الخوف والجشع — الآن. وهو يؤيِّد المحبَّة والمجازفة والتضحية بالقوَّة — الآن.

لذا، توخَّ الحذرَ قبل أن تقلِّل من شأن الحياة الآتية. فربَّما يكون حاضرك حلوًا ومثمرًا حين تكون حياتك الآتية جميلةً ومضمونة.

يدُه عاملةٌ في الفيروسات

هذا هو ما **في وسعي** أن أقوله دفاعًا عن كلمة الله الرائعة التي كلَّمني بها في عيادة

طبيب المسالك البوليَّة: «إنْ عشتَ أو متَّ، ستكون معي». ويجعلُني مثل هذا الرجاء (بسبب موت المسيح وقيامته) أرغب في سَكْب حياتي من أجل خير الآخرين **الآن**، ولا سيَّما من أجل خيرهم الأبديّ، كما يحفِّزني ألَّا أضيع حياتي، ويزيل التردُّد، ويملأني بالغَيرة والحماسة كي أذيع عظمةَ يسوع المسيح، ويجعلني أرغب في أن أُنفِق وأُنفَق (٢كورنثوس ١٢: ١٥) كي آتيَ بأكبر عدد ممكن من البشر معي إلى الفرح الأبديّ.

لكن، مع أنَّ هذا هو ما **في وسعي** قوله، أمام اعتراض أحدهم قائلًا إنَّ إله بايبر متخصِّص فقط في الحياة الآتية، وليس في الحياة الحاضرة، فهو ليس الشيءَ الوحيدَ الذي يَلزَم قوله.

في حقيقة الأمر، ما أنا على وشك قوله على الأرجح سيجعل أحدهم يعترض، قائلًا: «يا للعجب! هذا تداخُلٌ زائدٌ عن الحدِّ لله في

الحاضر. فقد انتقلتَ الآن من الحديث بشأن إله يُصلِح المستقبل فحسب، إلى إله يده عاملة في مسألة الفيروسات».

ليس «أنا بخير» بل «أشعر بأنَّني بخير»

فلنصغ الأمرَ هكذا. عادةً ما كان الناس يسألونني قبل إصابتي بمرض السرطان: «كيف هي حالتك الصحِّيَّة؟» وكنتُ أجيب: «أنا بخير». لم أعُدْ أجيب بهذا اليوم، بل أقول الآن: «أشعر بأنَّني بخير». وهناك فرقٌ ما بين الجوابَين. ففي اليوم الذي سبق ذهابي إلى ذلك الفحص السنويِّ للبروستاتا، كنت **أشعر** بأنَّني بخير، لكن في اليوم التالي، قيل لي إنَّني مريضٌ بالسرطان. بعبارة أخرى، **لم أكنْ** بخير. بل بينما أكتب هذه الكلمات، لا أعرف إذا كنتُ بخيرٍ أم لا. أشعر بأنَّني بحال جيِّدة، أفضل كثيرًا ممَّا أستحقّ. ربَّما أنا مريض الآن بالسرطان، أو بجلطةٍ دمويَّة، أو ربَّما بفيروس كورونا.

ماذا أحاول أن أقول هنا؟ أحاول أن أقول إنَّ السببَ الأساسيَّ الذي يدعونا إلى عدم قَول: «**أنا بخير**» هو أنَّ الله وحده يَعلَم ويقرِّر إذا كنتَ بخيرٍ أم لا — الآن. فأن تقول: «أنا بخير» بينما أنت **لا تعلَم** إذا كنت بخير أم لا؛ وبينما لا يمكنك **التحكُّم** في ما إذا كنت بخير أم لا، هو كأنَّك تقول: «غدًا، سأذهب إلى شيكاغو وأبدأ مشروعًا»، في حين أنت لا تدري حتَّى إذا كنتَ ستظلُّ على قيد الحياة حتَّى الغد أم لا، ناهيك عن تأسيس مشروع في شيكاغو.

إليك ما يقوله الكتاب المقدَّس عن هذا:

«هَلُمَّ الآنَ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ: نَذْهَبُ الْيَوْمَ أَوْ غَدًا إِلَى هذِهِ الْمَدِينَةِ أَوْ تِلْكَ، وَهُنَاكَ نَصْرِفُ سَنَةً وَاحِدَةً وَنَتَّجِرُ وَنَرْبَحُ. أَنْتُمُ الَّذِينَ لاَ تَعْرِفُونَ أَمْرَ الْغَدِ! لأَنَّهُ مَا هِيَ حَيَاتُكُمْ؟ إِنَّهَا بُخَارٌ، يَظْهَرُ قَلِيلاً ثُمَّ يَضْمَحِلُّ. عِوَضَ أَنْ تَقُولُوا: إِنْ

شَـاءَ الـرَّبُّ وَعِشْـنَا نَفْعَـلُ هَـذَا أَوْ ذَاكَ» (يعقـوب ٤: ١٣-١٥).

هـا قـد تبخَّـرتِ الآن فكـرةُ الإلـه المتداخـل فقـط في الحيـاة الآتيـة. هـذا هـو تأثـير سـطوع شـمس الحـقِّ الكتـابيِّ عـلى الضبـاب سريـع الـزوال لآرائنـا الشـخصيَّة.

إذا قرَّر الرَّبّ، سنفعل هذا أو ذاك

إنَّ الصخـرة التـي أقـف عليهـا (والتـي أريـدك أن تقـف عليهـا أنـت أيضًـا) هـي صخـرة عمـل الله في العـالم **الآن، وإلى الأبـد**. يقـول الكتـاب المقـدَّس: «إنْ شَـاءَ الـرَّبُّ وَعِشْـنَا». يعنـي ذلـك تداخُـلًا في حيِّــز الحــاضر إلى أقــصى حــدّ. لا يتوقَّــف الأمــر عنـد: «سـواء عشـتَ أو مـتَّ، سـتكون مـع الله»؛ لكنَّـه يمتـدُّ أيضًـا إلى: « الله هـو مَـن سـيُقرِّر إذا كنــت ســتعيش أو ســتموت — الآن».

لا يقتــصر الأمــر عــلى الحيــاة أو المــوت، لكــنَّ الله أكـثر تداخُـلًا أيضًـا مـن ذلـك. «إِنْ شَـاءَ

الـرَّبُّ ... نَفْعَـلُ هَـذَا أَوْ ذَاكَ». لا شيءَ مسـتثنى مـن «هـذا أو ذاك». فـإنَّ الله متداخـل تمامًـا في **هـذه** الصحَّـة، أو **ذاك** المـرض؛ في **هـذا** الانهيـار الاقتصـاديّ، أو **ذاك** التعـافي؛ في **هـذا** النَّفَـس، أو انقطاعـه.

يعنـي ذلـك أنَّنـي بينـما كنـتُ أنتظـر في عيـادة الطبيـب حتَّـى تصل آلـة أخـذ عيِّنـة الأنسـجة، كان الله يملـك القـدرة أن يقـول لي (وهـذا مـا فعلـه لاحقًـا): «لا تخَـفْ. سـواء عشـتَ أم مـتَّ، سـتكون معـي. و**أيضًـا** في الوقـت الحـاليّ، بينـما أنـت حـيٌّ، لـن يحـدث لـك شيء — أيُّ شيء — لم أعيِّنـه! إذا قـرَّرتُ أن تعيـش، فسـوف تعيـش. وإذا قـرَّرتُ أن تمـوت، فسـوف تمـوت. وإلى أن تمـوتَ بقـرارٍ منِّـي، أنـا مَـن سـيُقرِّر إذا كنـتَ سـتفعل هـذا أم ذاك. هيَّـا ابـدأ العمـل».

هـذه هـي صخـرتي — اليـوم وغـدًا وإلى الأبـد.

هيَّا إلى الصخرة

هـذا الكتـاب هـو دعـوةٌ مقدَّمـةٌ منِّـي كي تنضـم إليَّ للوقـوف عـلى تلـك الصخـرة المتينـة، يسـوع المسـيح. وأرجـو أن يتَّضـح لـك في مـا يـلي معنـى ذلـك. إنَّ هـدفي هـو أن أبـيِّن لمـاذا يُعَـدُّ الله، في المسـيح، الصخـرة في هـذه اللحظـة مـن التاريـخ — في وسـط وبـاء فـيروس كورونـا — وكيـف يكـون وقوفنـا وثباتنـا في محبَّتـه القديـرة.

الفصل الثاني:
أساسٌ متين

لا يَهُــمُّ كثــيرًا رأيــي بشــأن فــيروس كورونــا، أو بشــأن أيِّ شيء آخــر، لكــنَّ رأي الله هــو الأهــمُّ بمـا لا يُقــاس. وهــو لا يكتــمُ عنَّــا رأيَــه بشــأن هــذا الأمــر. فمــن النــادر أن نجــدَ صفحــةً في الكتــاب المقــدَّس لا علاقــة لهــا بهــذه الأزمــة.

متينٌ وحلو

إنَّ رأيــي عشــبٌ، أمَّــا رأي الله فهــو صــوَّان، «الْعُشْــبُ يَبِــسَ وَزَهْــرُهُ سَــقَطَ، وَأَمَّــا كَلِمَــةُ الــرَّبِّ فَتَثْبُــتُ إِلَى الأَبَــدِ» (١بطــرس ١: ٢٤-٢٥). قــال يســوع إنَّ كلام الله في الكتــاب المقــدَّس: «لَا يُمْكِــنُ أَنْ يُنْقَــضَ» (يوحنَّــا ١٠: ٣٥). فــما يقولــه الله «حَــقٌّ عَــادِلَ كُلُّــه» (مزمــور ١٩: ٩)، ومــن ثَــمَّ،

فإنَّ كلمته أساسٌ ثابتٌ إلى مدى الحياة — «إِلَى الدَّهْرِ أَسَّسْتَهَا [شهاداتك]» (مزمور ١١٩: ١٥٢). يشبه الإصغاء إلى الله والإيمان به بناءَ بيتٍ على الصخر، لا على الرمل (متَّى ٧: ٢٤).

فإنَّ كلمة الله هي ذلك الرأي الذي ينبغي أن توليه كلَّ انتباهك؛ فهو «عَجِيبُ الرَّأْيِ عَظِيمُ الْفَهْمِ» (إشعياء ٢٨: ٢٩)، و«لِفَهْمِهِ لا إِحْصَاءَ» (مزمور ١٤٧: ٥). وحين يعطي رأيًا بشأن فيروس كورونا، سيكون رأيًا راسخًا ودائمًا وغير متزعزع «أَمَّا مُؤَامَرَةُ الرَّبِّ فَإِلَى الأَبَدِ تَثْبُتُ» (مزمور ٣٣: ١١)، «اَللهُ طَرِيقُهُ كَامِلٌ» (٢صموئيل ٢٢: ٣١).

ومن ثَمَّ، فإنَّ كلمات الله حلوة وثمينة، «أَشْهَى مِنَ الذَّهَبِ ... وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقَطْرِ الشِّهَادِ» (مزمور ١٩: ١٠). وهي في الحقيقة تحملُ حلاوةَ الحياة الأبديَّة: «يَا رَبُّ إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟ كلامُ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ» (يوحنَّا ٦: ٦٨).

ومن ثَمَّ، ففي أفضل الأوقات وأسوئها، تجلب كلمات الله سلامًا وفرحًا لا يتزَعْزَعان. حتمًا لا بُدَّ أن يكون الأمر كذلك. صلاتي هي أن يختبر كلُّ مَن يقرأ هذا الكتاب ما اختبره إرميا النبيّ: «وُجِدَ كَلامُكَ فَأَكَلْتُهُ فَكَانَ كَلامُكَ لِي لِلْفَرَحِ وَلِبَهْجَةِ قَلْبِي» (إرميا ١٥: ١٦).

لاحِظْ ذلك: لن تُفقَد حلاوة كلمة الله في تلك اللحظة الحاسمة من التاريخ، التي نختبر فيها عنايةً إلهيَّةً مُرَّة،[٤] إن تعلَّمنا سرَّ أن نكون «كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِمًا فَرِحُونَ» (٢كورنثوس ٦: ١٠). سنرى لاحقًا وبالتفصيل ماهيَّة هذا السِّرّ، لكنْ إليكم تعريفَه الآن في جملةٍ واحدة: أنَّ سرَّ «كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِمًا فَرِحُونَ» هو **معرفة أنَّ السيادة نفسها التي كان في وسعها أن تمنعَ فيروس كورونا، لكنَّها لم تفعل، هي التي تساند النفس وتدعمها في أثناء الأزمة**. بل يفوق الأمر مجرَّد مساندة ودعم؛ إذ تزيِّن هذه السيادة النفسَ وتحلِّيها

بالرجاء في أنَّ مقاصد الله طيِّبة وكريمة، حتَّى في الموت ذاته — لأولئك الذين يضعون ثقتهم فيه.

كيف تعرف ذلك يقينًا؟

ومن ثَمَّ، فإنَّ السؤالَ الأكثر إلحاحًا الآن هو: كيف تعرف يقينًا أنَّ الكتاب المقدَّس هو كلمة الله؟ إجابتي المختَصَرة هي أنَّ مجدًا إلهيًّا يشعُّ من هذه الكلمة، ويلائم تمامًا أبعاد قالبٍ على شكل الله، موجودٍ داخل قلبك، تمامًا مثل التروس والعجلات، واليد والقفاز، والسمك والمياه، والأجنحة والهواء، والقطعة الأخيرة من لعبة التركيب (البازل).

يمكنني أن أتخيَّل الآن أحدهم يردُّ على إجابتي قائلًا: «تبدو هذه الإجابة نوعًا ما وجدانيَّة وغير موضوعيَّة. لماذا أجبتَ هكذا؟».

لأنَّه منذ خمسين عامًا؛ عندما كنتُ أصارع كي أعرفَ الأساسَ الذي ينبغي أن أبنيَ

عليـه حيـاتي، أدركـتُ أنَّ الحُجـجَ الأكاديميَّـة والتاريخيَّـة لإثبـات صحَّـة الكتـاب المقـدَّس لـن تُجـدي نفعًـا مـع غالبيَّـة العـالم. لمـاذا؟ لأنَّـه، مـع أنَّهـا صحيحـةٌ ونافعـةٌ بدرجـةٍ مـا، فـلا يسـتطيع أن يسـتوعبَها طفـلٌ في سـنِّ الثامنـة، أو رجـلٌ قـرويٌّ غـير متعلِّـم تلتقيـه في بقعـةٍ نائيـةٍ مـن أدغـال جنـوب المحيـط الهـادئ، أو شـخصٌ عـاديٌّ في الغـرب لم ينَـلْ سـوى قسـطٍ قليـلٍ مـن التعليـم. ورغـم ذلـك، فقـد بـدا لي واضحًـا أنَّ الله أرادَ لهـؤلاء النـاس أن يسـمعوا كلمـة الله ويؤمنـوا بهـا، دون أن يقفـزوا في الظـلام.

الإيمانُ الكتابيُّ ليس قفزةً في الظلام

ليـس التعريـفُ الكتـابيُّ للإيمـان أنَّـه قفـزةٌ في الظـلام، بـل إنَّ هـذا الإيمـان معلَّـلٌ ومبنـيٌّ عـلى الإثباتـات والأدلـة. فقـد سُـمِّي **إيمانًـا** لا لأنَّـه بـلا أسـاس، بـل لأنَّـه يتضمَّـنُ عنـصرًا مـن الثقـة. لم يَصِـفْ يسـوع **المؤمنـين**، بـل **غـير** المؤمنـين، بأنَّهـم

عميان (انظر متَّى ١٥: ١٤)؛ كونهم «مُبْصِرِينَ لا يُبْصِرُونَ» (متَّى ١٣: ١٣). يُبنى الإيمانُ الخلاصيُّ إذًا في كلمة الله على «الإبصار»، أي الرؤية الحقيقيَّة.

لكنْ ما الشيء الذي يبصرُه هذا الإيمان؟ هكذا يجيب الكتاب المقدَّس: يفعل الشيطان كلَّ ما في وسعه كي يُعميَ «أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلَّا تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ الله» (٢كورنثوس ٤: ٤).

بمعنى آخر، يشعُّ نورٌ روحيٌّ من نوعٍ ما بواسطة الإنجيل، الذي هو القصَّة الكتابيَّة للخلاص. وأيُّ نوع من النور هذا؟ هو نور «مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ». ليس هذا سحرًا، أو شيئًا روحانيًّا وجدانيًّا، يظهر لكنَّه غير موجود في الحقيقة، بل إنَّ يسوع المسيح هو ذلك الإله — الإنسان الذي يشعُّ مجدُه الأدبيُّ والروحيُّ والفائق للطبيعة — أي

جمالـه وقيمتـه وعظمتـه — بواسـطة كلمـة الله. هـذا مـا يؤكِّـد صحَّـة الكتـاب المقـدَّس ويُثبِتهـا.

قالبٌ على شكل الله داخل روحك

لهـذا قلـتُ إنَّ مجـدًا إلهيًّـا يشـعُّ مـن الكتـاب المقـدَّس، ويلائـم تمامًـا قالبًـا عـلى شـكل الله موجـودًا داخـل قلبـك. ومـن ثَـمَّ، هـذا مـا يؤكِّـد صـدق الكتـاب المقـدس وقيمتـه ويُثبِتُهـما.

أجـل، أومـن بوجـود قالـب عـلى شـكل الله — أي نـوعٍ مـن المعرفـة غـير المبـاشرة بـالله — داخـل كلِّ روح بشريَّـة. ويعـبِّر الكتـاب المقـدَّس عـن هـذا بقولـه عـن جميـع البـشر: «مَعْرِفَـةُ اللهِ ظَاهِـرَةٌ فِيهِـمْ ... لأَنَّهُـمْ لَـمَّا عَرَفُـوا اللهَ لَـمْ يُمَجِّـدُوهُ أَوْ يَشْـكُرُوهُ كَإِلَـهٍ» (روميـة ١: ١٩، ٢١).

يعلِّمنـا الكتـاب المقـدَّس بـأنَّ هـذه **المعرفـة** الموجـودة داخـل كلِّ روح هـي التـي تجعلُنـا مسـؤولين جميعًـا عـن رؤيـة مجـد الله في الطبيعـة. كذلـك أيضًـا، نحـن مسـؤولون عـن رؤيـة مجـد الله

في يسـوع بواسـطة كلمتـه. فالسَّـمَاواتُ تُحَـدِّثُ بِمَجْـدِ الله (انظـر مزمـور ١٩: ١)، ونحـن ملزَمـون أن نـرى هـذا المجـد، وأن نرفـعَ شـكرَنا. كذلـك أيضًـا، يُعلِـن ابـن الله مجـد الله، ونحـن مسـؤولون عـن رؤيـة هـذا المجـد، وتقديـم العبـادة. يقـول الرسـول يوحنَّـا: «وَرَأَيْنَـا مَجْـدَهُ مَجْـدًا كَمَا لِوَحِيـدٍ مِـنَ الآبِ مَمْلُـوءًا نِعْمَـةً وَحَقًّـا» (يوحنَّـا ١: ١٤).

هـذا هـو المجـد الـذي يُثبِـت نفسـه، والـذي يشـعُّ مـن كلمـة الله، ويمدُّنـا بأسـاسٍ معلَّـلٍ ومبنيٍّ عـلى إثباتـاتٍ وأدلَّـة للإيمـان بـأنَّ الكتـاب المقـدَّس هـو مِـن عنـد الله.

التكنولوجيا في مقابل التذوُّق

تُشـبِهُ وسـيلةُ معرفتنـا مجـدَ الله في الكتـاب المقـدَّس وسـيلةَ معرفتنـا أنَّ العسـلَ هـو عسـل. ربَّمـا يقـول العلـم والتكنولوجيـا إنَّ إنـاءً مـا يحتوي عـلى عسـلٍ بسـبب بعـض التجـارب الكيمياويَّـة التـي أُجريـت عليـه، تمامًـا كـما يسـتطيع دارسـو

الكتاب المقدَّس أن يقدِّموا حُججًا مقنعةً تؤيِّد الموثوقيَّة التاريخيَّة للكتاب المقدَّس. لكنْ ليس معظم الناس علماءَ أو دارسين أكاديميِّين؛ فإنَّنا نعلمُ أنَّ العسلَ عسلٌ لأنَّنا نتذوَّقه.

كذلك أيضًا، تَكمُن حلاوةٌ إلهيَّةٌ في مجد الله الظاهر في رسالة الكتاب المقدَّس. وهي تمسُّ جانبًا منَّا نعلمُ جيِّدًا أنَّ الله هو مَن وضعه فينا «مَا أَحْلَى قَوْلَكَ لِحَنَكِي! أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ لِفَمِي» (مزمور ١١٩: ١٠٣)؛ «ذُوقُوا وَانْظُرُوا مَا أَطْيَبَ الرَّبَّ!» (مزمور ٣٤: ٨). هذا إبصارٌ وتذوُّقٌ حقيقيَّان؛ فهو ليس إيمانًا تخيُّليًّا، بل إيمانٌ يبصرُ ويذوقُ ما هو موجودٌ في الحقيقة.

نعم آمين لصخرة عزائنا

لذا، عندما يقول يسوع: «لا يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ» (يوحنَّا ١٠: ٣٥)؛ وعندما يقول الرسول بولس: «كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحى بِهِ مِنَ اللهِ» (٢تيموثاوس ٣: ١٦)، وعندما يقول الرسول بطرس إنَّ كتبةَ الأسفار المقدَّسة كانوا «مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (٢بطرس ١: ٢١)، تقول

قلوبُنا: **نعم آمين**. فقد ذُقْنا وأبصَرْنا، وصِرْنا نعرفُ يقينًا. وتقفُ هذه المعرفة على أساسٍ سليمٍ ومتين. لذلك نحن لا نقفزُ في الظلام.

ويتلامسُ كِيانُنا كلُّه مع كلمات الكتاب المقدَّس القائلة: «رَأْسُ كَلاَمِكَ حَقٌّ» (مزمور ١١٩: ١٦٠)؛ «إِلَى الأَبَدِ يَا رَبُّ كَلِمَتُكَ مُثَبَّتَةٌ فِي السَّمَاوَاتِ» (مزمور ١١٩: ٨٩)؛ «كُلُّ كَلِمَةٍ مِنَ اللهِ نَقِيَّةٌ» (أمثال ٣٠: ٥).

وعندما يحدث ذلك، يفيض علينا حقُّ الله كاملًا، ويؤثِّر في أعماقنا، حتَّى أمام فيروس كورونا. وهو يفيض علينا بعزاء لا مثيلَ له: «عِنْدَ كَثْرَةِ هُمُومِي فِي دَاخِلِي تَعْزِيَاتُكَ تُلَذِّذُ نَفْسِي» (مزمور ٩٤: ١٩)؛ «قَرِيبٌ هُوَ الرَّبُّ مِنَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ وَيُخَلِّصُ الْمُنْسَحِقِي الرُّوحِ. كَثِيرَةٌ هِيَ بَلاَيَا الصِّدِّيقِ وَمِنْ جَمِيعِهَا يُنَجِّيهِ الرَّبُّ» (مزمور ٣٤: ١٨-١٩).

لا يقدر إنسان أن يعزِّي أرواحنا في وسط هذا الوباء كما يقدرُ الله. فإنَّ تعزياته لا

تتزعـزع، مثـل صخـرةٍ عظيمـةٍ ومرتفعـةٍ وسـط بحـرٍ هائـج. وهـذه التعزيـات آتيـة مـن كلمتـه — مـن الكتـاب المقـدَّس.

الفصل الثالث:
هذه الصخرةُ بارَّة

إذا كان الله هـو صخرتَنـا، فـلا بُـدَّ إذًا أنَّـه بـارٌّ. فـإنَّ صخـرةً غـير بـارَّة هـي مجـرَّد سراب. وإنَّ الـشيء الـذي قـد يُزعزعـه فينـا وبـاءٌ عالمـيٌّ هـو ثقتنـا في بـرِّ الله، وقداسـته، وصلاحـه. لكـن، لـو لم يكـن الله بـارًّا وسـط كلِّ ذلـك، لـن تكـون لنـا صخـرة نقـف عليهـا.

لـذا يلـزمُ أن نسـأل: مـا معنـى قداسـة الله وبـرِّه وصلاحـه؟ فـإنْ لم نعـرف معنـى هـذه الصفـات، فكيـف سيتسـنَّى لنـا أن نعـرفَ إذا كان تفـشِّي فـيروس كورونـا قـد فتَّتهـا وحطَّمهـا أم لا؟ أو، في المقابـل، كيـف سيتسـنَّى لنـا أن نعـرفَ أنَّهـا هـي الأساسـات السرمديَّـة للصخـرة التـي تنقذنـا وتخلِّصنـا؟

سنرى الآن أنَّ الكتاب المقدَّس لا يصف قداسة الله وبرَّه وصلاحه حاسبًا إيَّاها صفاتٍ متطابقة، بل بوصفها صفاتٍ متشابكةً ومتداخلةً معًا. لنبدأ الآنَ بقداسة الله. ما المقصود بقداسة الله؟

القيمة المتسامية وغير المحدودة

يحمل جذر الكلمة التي استخدمها العهد القديم بمعنى «قداسة» معنى الانفصال، أيْ اختلافَ شيء ما وانفصاله عن كلِّ ما هو عاديّ. وعند تطبيق هذا المعنى على الله، سيدلُّ الانفصال على أنَّ الله يصنَّف في فئةٍ بمفرده، أو في فئةٍ فريدةٍ من نوعها. فهو نظيرُ ألماسةٍ فريدة من نوعها، فائقة القيمة. نستطيع أن نستخدمَ كلمة متسامٍ أو متعالٍ (Transcendent) لوصف هذا النوع من الانفصال الإلهيّ؛ فهو منفصلٌ في تفرُّد حتَّى إنَّه يتسامى فوقَ أيِّ شيء آخر، وهو فوق الكلّ، وأعلى قيمة من الكلّ.

عندما ضرب موسى الصخرة بدلَ أن يكلِّمها كما أوصاه الله، وبَّخه الله قائلًا: «لِمَ تُؤْمِنَا بِي **حَتَّى تُقَدِّسَانِي** أَمَامَ أَعْيُنِ بَنِي إِسْرَائِيل» (العدد ٢٠: ١٢). بمعنى آخر، لم يتعامل موسى مع الله على أنَّه شخصٌ استثنائيّ، وجديرٌ بالثقة على نحوٍ فائق، بل فقط على أنَّه مجرَّدُ سلطةٍ بشريَّة أخرى مثل أيَّة سلطةٍ أخرى، يمكن تجاهُلها.

وفي إشعياء ٨: ١٢-١٣، قال الله لإشعياء: «لا تَخَافُوا خَوْفَهُ [خوف هذا الشعب] وَلا تَرْهَبُوا. **قَدِّسُوا** رَبَّ الْجُنُودِ فَهُوَ خَوْفُكُمْ وَهُوَ رَهْبَتُكُمْ». بمعنى آخر، لا تضيفوا الله إلى مجموعة مخاوفكم العاديَّة، أو الأمور التي ترهبونها، بل تعاملوا معه على أنَّه نوعٌ منفصلٌ ومتفردٌ تمامًا — أي نوع متسامٍ- من الخوف والرهبة.

ومن ثَمَّ، فإنَّ قداسةَ الله هي تساميه غير المحدود، وقيمته غير المحدودة، التي تفوق كلَّ شيء آخر. فهو يصنَّف في فئة بمفرده، ما يعني

أنَّـه لا يعتمـد في وجـوده عـلى أيِّ شيء آخـر؛ لأنَّـه ذاتيُّ الوجـود. لـذا، فهـو لا يحتـاج إلى شيء، ولا يعتمـد عـلى شيء. هـو كامـل، ولا ينقصُـه شيء. ومـن ثَـمَّ، هـو يمتلـك القيمـة الأعظـم بصفتـه مصـدرَ كلِّ حقيقـةٍ وكلِّ قيمـة.

فوق الكلّ، لكنَّه ليس منعزلًا

لا يعنـي تعـالي الله فـوقَ كلِّ شيءٍ آخـر أنَّـه عقـلٌ منعـزل تمامًـا، وخـالٍ مـن المحبَّـة. فـإنَّ عقيـدة الثالـوث المهمَّـة تُعَـدُّ عقيـدةً كتابيَّـةً تمامًـا. فـالله موجـودٌ في ثلاثـة أقانيـم إلهيَّـة، وهـؤلاء الثلاثـة هـم واحـد، أيْ جوهـرٌ إلهـيٌّ واحـد. هنـاك إلـهٌ واحـد، لا ثلاثـة آلهـة، إلَّا أنَّ هـذا الإلـه الواحـد موجـودٌ في وَحـدةٍ سرِّيَّـةٍ وحقيقيَّـة مـا بـين الآب والابـن والـروح القـدس — كلٌّ منهـم أبـديٌّ وأزليّ (لا بدايـة لـه). وكلٌّ منهـم هـو الله الحقيقـيّ.

لهـذا فالقداسـة — أيْ قيمـة الله وعظمتُـه المتسـاميَتَان — لا تعنـي أنَّـه منعـزلٌ بـلا محبَّـة

في سموِّه غير المحدود؛ فالله الآب يعرفُ الابنَ ويحبُّه على نحوٍ كاملٍ وغير محدود (مرقس ١: ١١؛ ٩: ٧؛ كولوسِّي ١: ١٣)، والله الابن يعرفُ الآبَ ويحبُّه على نحوٍ كاملٍ وغير محدود (يوحنَّا ١٤: ٣١)، والروح القدس هو التعبير الكامل وغير المحدود عن معرفة الآب والابن ومحبَّتهما بعضهما لبعض.

وما أهمِّيَّةُ هذا؟ لأنَّ هذه الشركة الثالوثيَّة الكاملة أساسيَّةٌ لأجل كمال الله وتكامُله؛ فهي أساسيَّةٌ لأجل قيمته وجماله وعظمته المتسامية، أي أنَّها أساسيَّةٌ في قداسته.

القداسةُ متشابكةٌ ومتداخلةٌ مع البرّ

هناك بُعدٌ مفقودٌ في ذلك الوصف لقداسة الله. يتكلَّم الكتاب المقدَّس عن قداسة الله ليس فقط من حيثُ تساميها، بل أيضًا من حيثُ البعدُ الأدبيُّ لها. أن يكون الله قدُّوسًا يعني ليس فقط أنَّه منفصلٌ ومتسامٍ، بل أيضًا أنَّه بارّ.

يفـرضُ هـذا سـؤالًا سـتكونُ لـه آثـار عظيمـة في نظرتنـا إلى فـيروس كورونـا وعلاقتـه بـالله: مـا دام الـبرُّ يتضمَّـن فعـلَ الصـواب؛ ومـا دامَ فعـلُ الصـواب يتضمَّـن الامتثـالَ لمقيـاسٍ معـيَّن للاسـتقامة والصـواب، فـما المقيـاس الـذي يخضـع لـه بـرُّ الله؟

قبـل الخلـق، لم تكـن هنـاك مقاييـس خـارج الله. لم يكـن هنـاك شيءٌ خـارج الله يمكـن أن يخضـعَ الله أو يَمتثِـلَ لـه. فقبـل الخلـق، كان الله هـو الحقيقـة الوحيـدة. عندمـا لا يوجـد إذًا سـوى الله وحـده، فكيـف يمكـن أن تحـدِّدَ الصوابَ الـذي ينبغـي أن يفعلـه الله؟ أي كيـف يمكـن أن تشـملَ قداسـةُ الله تساميَه وبـرَّه أيضًـا؟

الإجابـة هـي أنَّ مقيـاسَ بـرِّ الله هـو الله ذاتـه. والمبـدأُ الكتـابيُّ الأسـاسيُّ هـو أنَّ الله: «لَـنْ يَقْـدِرَ أَنْ يُنْكِـرَ نَفْسَـه» (٢تيموثـاوس ٢: ١٣). أي لـن يقـدر الله أن يتـصرَّفَ بطريقـة تُنكِـر قيمتـه

وجمالـه وعظمتـه غـير المحـدودة. هـذا هـو مقيـاس الصـواب عنـد الله.

يعنـي هـذا أنَّ البُعـدَ الأدبيَّ مـن قداسـة الله — الـذي هـو بـرُّه — هـو التزامـه الـذي لا يلـين أن يتـصرَّفَ بمـا يتَّفـق مـع قيمتـه وجمالـه وعظمتـه. فـإنَّ كلَّ عاطفـة وفكـرة وكلمـة وتصرُّفٍ يصـدر عـن الله، سـيكون دائمًـا متَّفقًـا مـع القيمـة والجـمال غـير المحدَوديـن لكمالـه المتسـامي. فلـو حـدثَ أن أنكـرَ الله هـذه القيمـة، أو هـذا الجـمال، أو هـذه العظمـة، لمـا كان هـذا صوابًـا. حينئـذ، سيفسـدُ المقيـاسُ الأسـاسيُّ، ولـن يكـون بـارًّا.

البرُّ متشابكٌ ومتداخلٌ مع الصلاح

ليـس صـلاح الله متطابقًـا مـع قداسـته، أو مـع برِّه، لكنَّـه متشـابك ومتداخـل معهـما؛ لأنَّ قداسـتَه تفيـضُ بصـلاحٍ، وبـرَّه هـو الـذي يوجِّـه منحَـه لهذا الصـلاح. لا تتعـارض هـذه الصفـات بتاتًـا بعضهـا مـع بعـض.

فإنَّ صلاحَ الله هو مَيلُه لأن يكونَ سخيًّا، أي أن يفعلَ ما من شأنه أن يباركَ البشر. ويُشبه كمال الله المتسامي، أي قداسته، نبعًا فائضًا؛ لذلك هو يميل لأن يكونَ سخيًّا؛ فهو لا يحتاج إلى أحد، ومن ثَمَّ، لا يستغلُّ بتاتًا الآخرين كي يعوِّض نقصًا فيه. بل في المقابل، تميل طبيعة الله إلى العطاء، لا إلى الأخذ «وَلا يُخْدَمُ بِأَيَادِي النَّاسِ كَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى شَيْءٍ إِذْ هُوَ يُعْطِي الْجَمِيعَ حَيَاةً وَنَفْسًا وَكُلَّ شَيْءٍ» (أعمال الرسل ١٧: ٢٥).

لكنَّ صلاحَ الله غير منفصل عن برِّه؛ فلا يمنَح الله صلاحَه على نحو من شأنه أن ينكر قيمتَه وجمالَه وعظمتَه غير المحدودة. ولذلك، يتضمَّن برُّ الله العقاب الأخير، كما يتضمَّن الصلاح أيضًا. فعندما يعاقب الله غير التائبين في الجحيم، فهو لا يمنحهم صلاحَه، لكنَّه لم يتوقَّفْ بهذا عن أن يكونَ صالحًا؛ فقداسته وبرُّه هما اللذان يوجِّهان كيفيَّة مَنحِه لصلاحه.

لأجل ذلك، يفيض صلاح الله بصفةٍ خاصَّةٍ على خائفيه والذين يَحتَمون به «مَا أَعْظَمَ جُودَكَ الَّذِي ذَخَرْتَهُ **لِخَائِفِيكَ** وَفَعَلْتَهُ **لِلْمُتَّكِلِينَ عَلَيْكَ**» (مزمور ٣١: ١٩).

غير أنَّ هذا الإيمانَ وهذه المهابةَ لا **يَربَحان** صلاح الله؛ فالخطاة المحدودون والاعتماديُّون تمامًا، لا يقدرون أن يربحوا عن استحقاقٍ أيَّ شيء من الله. بل إنَّ صلاح الله من نحو الخطاة دائمًا مجَّانيٌّ ودون استحقاق. لماذا يميلُ الله إذًا إلى إظهار جوده الوافر نحو مَن يخافونه ويتَّكلون عليه؟ لأنَّ الإيمانَ والمهابة يُعلِنانِ قيمةَ الله وجمالَه وعظمتَه (رومية ٤: ٢٠). ومن ثَمَّ، فإنَّ برَّ الله يجعلُه يميلُ إلى التصديق على مثل هذه التوجُّهات التي تكرمه.

ماذا إذًا عن فيروس كورونا؟

سنتحدَّث في الفصل التالي بشأن سيادة الله كلِّيَّة العلم، وكلِّيَّة التحكُّم فوق كلِّ شيء. لكنْ،

سيمنعُنا ما تحدَّثنا به حتَّى الآن من القفز إلى استنتاج أنَّ يدَ الله المتداخلة والعاملة في فيروس كورونا تشكِّك في قداسته أو برِّه أو صلاحه. لن نكون بالسذاجة التي تجعلنا نربطُ الألمَ البشريَّ بافتقار الله إلى البرّ، أو نستنتجُ أنَّ الله توقَّف عن أن يكون قدُّوسًا أو صالحًا في إدارته لعالمه.

جميعنا خطاة، وليس هناك استثناءات. فقد استبدَلْنا جميعًا بمجد قيمة الله وجماله وعظمته أشياءَ نستمتعُ بها أكثر (رومية ١: ٢٣؛ ٣: ٢٣)، وهذه إهانة شائنةٌ لله، سواء شعرنا بذلك أم لا. ومن ثَمَّ، فإنَّنا نستحقُّ العقاب. وتجعلُنا إهانتنا هذه لمجد الله نستحقُّ عن جدارةٍ غضبَه المقدَّس. يقول الكتاب المقدَّس إنَّنا بِالطَّبِيعَةِ أَبناءُ الْغَضَب (انظر أفسس ٢: ٣)، ما يعني أنَّ الله سيكون قدُّوسًا وبارًّا إذا ما حجب صلاحه عنَّا.

ومن ثَمَّ، لا يدلُّ فيروس كورونا على أيِّ غيابِ القداسة أو البرِّ أو الصلاح عن الله. صخرتُنا،

في هـذه الأيَّـام العصيبـة والمضطربـة، ليسَـتْ دون بـرٍّ أو قداسـة. فإنَّـه «لَيْـسَ قُـدُّوسٌ مِثْـلَ الـرَّبِّ ... وَلَيْـسَ صَخْـرَةٌ مِثْـلَ إِلَهِنَـا» (١صموئيـل ٢: ٢). ليسَـتْ صخرتُنـا وهـمًا أو سرابًـا.

الفصل الرابع:
له سلطانٌ على الكلّ

استخدمتُ في الفصل الثاني عبارة «عنايةٌ إلهيَّةٌ مُرَّة». هذا هو فيروس كورونا. لا يُعَدُّ وصفُنا لبعض أعمال الله بأنَّها مُرَّة تجديفًا؛ فقد قالت نعمي، حماة راعوث، التي فقدت زوجها وابنَيها وإحدى كنَّتَيها في أثناء المجاعة والاغتراب الكلمات الآتية:

«لأَنَّ الْقَدِيرَ قَدْ أَمَرَّنِي جِدًّا. إِنِّي ذَهَبْتُ مُمْتَلِئَةً وَأَرْجَعَنِيَ الرَّبُّ فَارِغَةً ... وَالرَّبُّ قَدْ أَذَلَّنِي وَالْقَدِيرُ قَدْ كَسَّرَنِي؟
(راعوث ١: ٢٠-٢١).

لم تكن نعمي تكذب، أو تبالغ، أو تلقي بالاتِّهامات. كانت هذه هي الحقيقة البسيطة

والرهيبـة. ليـس تعبـير «العنايـة المُـرَّة» انتقاصًـا مـن شـأن طـرق الله، بـل هـو وصـفٌ لهـا.

كذلـك، ذكـرتُ في الفصـل الثـاني أنَّ حـلاوة كلمـة الله لـن تتناقـضَ وسـطَ هـذه العنايـة المـرَّة — إذا تعلَّمنـا سرَّ أن نكـون «كَحَـزَانَى وَنَحْـنُ دَائِمًـا فَرِحُـونَ» (٢كورنثـوس ٦: ١٠)؛ وقلـت إنَّنـا سـنعود لاحقًـا إلى هــذا الــسرِّ، ثــمَّ لخَّصتــه في جملــةٍ واحـدة عـلى النحـو الآتي: **السـيادة نفسـها التـي كان في وسـعها أن تمنـعَ فـيروس كورونـا، لكنَّهـا لم تفعـل، هـي التـي تسـاند النفـس وتدعمهـا في أثنـاء الأزمـة**. ومعرفتنـا لهـذا هـي مـا يصنـعُ الفـارق. أهـذا صحيـح إذًا؟

كلُّ ما شاءَ الربُّ صنع

إنَّ هـدفي في هـذا الفصـل، وفي الفصـل التـالي، أنْ أُظهِـرَ أنَّ الله ضابـطُ الـكلِّ وكلِّيُّ الحكمـة. فـإنَّ لـه سـلطانًا عـلى فـيروس كورونـا. وأريـد أن أوضـحَ أنَّ

هـذه أخبـار سـارَّة، بـل إنَّهـا في حقيقـة الأمـر سرٌّ اختبـارِ حـلاوةِ الله وسـط أعـمال عنايتـه المُـرَّة.

حـين نقـول إنَّ الله ضابـطُ الـكلّ، فإنَّنـا نقصـدُ أنَّ لـه السـلطان. ويعنـي سـلطانُ الله أو سيادته أنَّـه **يقـدر** أن يفعـل، بـل **يفعـل** حقًّـا، كلَّ مـا يشـاء عـلى نحـوٍ قاطـعٍ أن يفعلـه. وأقـول **عـلى نحـوٍ قاطـع**؛ لأنَّ الله، مـن ناحيـة، يشـاء أمـورًا لكنَّـه لا ينفِّذهـا؛ فهـو يسـتطيع أن يعـبِّر عـن رغبـاتٍ يختـار هـو نفسـه ألَّا يحقِّقهـا. مـن هـذه الناحيـة، هـذه الأمـور ليسـت قاطعـة؛ فهـو نفسـه لا يسـمح لمثـل هـذه الرغبـة أو المشيئة أن ترقـى إلى مسـتوى التنفيـذ.

تأمَّل مثلًا في مراثي إرميا ٣: ٣٢-٣٣:

«فَإِنَّهُ وَلَوْ أَحْزَنَ يَرْحَمُ
حَسَبَ كَثْرَةِ مَرَاحِمِهِ.
لأَنَّهُ لا يُذِلُّ مِنْ قَلْبِهِ
وَلا يُحْزِنُ بَنِي الإِنْسَانِ».

يُحزِننا الله بالفعل، ولكنْ ليس **من قلبه**. أعتقد أنَّ معنى هذا هو: مع أنَّ هناك جوانبَ من طبيعة الله (قلبه) لا تميل إلى إحزاننا، فإنَّ هناك جوانبَ أخرى من طبيعته تُملي (تُحتِّمُ) قداسةَ إحزاننا وبِرَّه.

ليس الله مزدوَجَ الشخصيَّة، بل يكمن جمالٌ وترابطٌ كاملَين في كيفيَّة تضافُر جميع صفات الله معًا. لكن، ليس الله أيضًا خاليًا من التعقيد؛ فإنَّ طبيعتَه أشبَه بسيمفونيَّة، أكثر من كونها أداءً صوتيًّا منفردًا.

لذا، عندما أقول إنَّ سيادة الله تعني أنَّه **يقدر** أن يفعل، بل هو يفعل **حقًّا**، كلَّ ما يشاء **على نحوٍ قاطع** أن يفعله، فأنا أقصد أنَّه ما من قوَّةٍ خارجَ ذاته يمكن أن تحبطَ مشيئته أو تَعوقها. فحين **يقرِّر** الله حدوث شيء ما، فإنَّه يحدث. أو بكلماتٍ أخرى، يحدثُ كلُّ شيء؛ لأنَّ الله يشاءُ حدوثَه.

سيادة شاملة

علَّم إشعياء أنَّ هذا جزءٌ من صميم معنى أن يكونَ الله هو الله:

«أَنَا الله وَلَيْسَ آخَرُ.
الإِلَهُ وَلَيْسَ مِثْلِي.
مُخْبِرٌ مُنْذُ الْبَدْءِ بِالأَخِيرِ
وَمُنْذُ الْقَدِيمِ بِمَا لَمْ يُفْعَلْ
قَائِلًا: رَأْيِي يَقُومُ
وَأَفْعَلُ كُلَّ مَسَرَّتِي»
(إشعياء ٤٦: ٩-١٠)

فأن يكون الله هو الله يعني أنه يجعلُ رأيَه يقومُ- دائمًا. لا يكتفي الله بأن **يخبر** بالأحداث المستقبليَّة التي ستقع، بل **يجعلُها** تقعُ أيضًا. فهو ينطق بكلمته، ثمَّ يضيف: «أَنَا سَاهِرٌ عَلَى كَلِمَتِي لأُجْرِيَهَا» (إرميا ١: ١٢).

يعني هذا، كما تعلَّم أيُّوب من تجرِبته الصعبة: «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ وَلا يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ» (أيُّوب ٤٢: ٢)؛ أو كما تعلَّم نبوخذنصَّر حينما أذلَّه الله رحمةً به:

«وَحُسِبَتْ جَمِيعُ سُكَّانِ الأَرْضِ كَلا شَيْءَ
وَهُوَ يَفْعَلُ كَمَا يَشَاءُ فِي جُنْدِ
السَّمَاءِ
وَسُكَّانِ الأَرْضِ
وَلا يُوجَدُ مَنْ يَمْنَعُ يَدَهُ
أَوْ يَقُولُ لَهُ: مَاذَا تَفْعَلُ؟
(دانيال ٤: ٣٥)

أو كما قال كاتب المزمور:

«كُلَّ مَا شَاءَ الرَّبُّ صَنَعَ
فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ
فِي الْبِحَارِ وَفِي كُلِّ اللُّجَجِ»
(مزمور ١٣٥: ٦)

أو كما أجملَ الرسول بولس:

«الَّذِي يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ»
(أفسس ١: ١١)

فهو يعمل «كلَّ شيء»، لا بعض الأشياء، «حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ»، لا حسب مشيئاتٍ أو قوى أخرى خارج ذاته.

بكلماتٍ أخرى، إنَّ سيادةَ الله شاملة؛ فهو متحكِّم تحكُّمًا مطلقًا في هذا العالم: يتحكَّم في الرياح (لوقا ٨: ٢٥)، والبروق (أيُّوب ٣٦: ٣٢)، والثلج (مزمور ١٤٧: ١٦)، والضفادع (خروج ٨: ١-١٥)، والبعوض (خروج ٨: ٢٠-٣٢)، والجراد(خروج١٠:١-٢٠)،والسلوى(خروج١٦:٦-٨)،والدود (يونان ٤: ٧)، والأسماك (يونان ٢: ١٠)، والعصافير (متَّى ١٠: ٢٩)، والعشب (مزمور ١٤٧: ٨)، والنباتات (يونان ٤: ٦)، والمجاعات (مزمور ١٠٥: ١٦)، والشمس (يشوع ١٠: ١٢-١٣)، وأبواب السجن (أعمال الرسل ٥: ١٩)، والعمى (خروج ٤: ١١؛ لوقا ١٨: ٤٢)، والصَّمَم (خروج ٤: ١١؛ مرقس ٧: ٣٧)، والشلل (لوقا ٥: ٢٤-٢٥)، والحُمَّى (متَّى ٨: ١٥)، كما يتحكَّم في كلِّ مرض (متَّى ٤: ٢٣)، وفي خُطط السفر (يعقوب ٤: ١٣-١٥)، وفي قلوب

الملوك (أمثال ٢١: ١؛ دانيال ٢: ٢١)، وفي الأمم (مزمور ٣٣: ١٠)، وفي القتلة (أعمال ٤: ٢٧-٢٨)، ويتحكَّم أيضًا في الموت الروحيّ (أفسس ٢: ٤-٥) — وهذه جميعها تنفِّذُ مشيئته السياديَّة.

ليس هذا أوان الآراء العاطفيَّة عن الله

الله هو إذًا مَن أرسلَ فيروس كورونا. ليس هذا أوان الآراء العاطفيَّة عن الله. هذا وقتٌ مُرّ، والله هو مَن عيَّنه، وهو ضابطه، وهو مَن سيُنهيه. ولا شيء خارج عن نطاق سيطرته؛ فالحياة والموت في يده.

لم يخطئ أيُّوب بشفتَيه حين قال:

«عُرْيَانًا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي
وَعُرْيَانًا أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ.
الرَّبُّ أَعْطَى
وَالرَّبُّ أَخَذَ

فَلْيَكُنِ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا»
(أيُّوب ١: ٢١)

الربُّ أعطى والربُّ أخذ. كان الربُّ هو مَن أخذَ أبناء أيُّوب العشرة.

لا أحد لديه الحقُّ أن يعيشَ في محضر الله. فإنَّ كلَّ نَفَسٍ نلتقطُه هو عطيَّةُ النعمة. وكلُّ نبضةِ قلب هي أمرٌ لا نستحقُّه. فالحياة والموت هما في النهاية في يد الله:

«انْظُرُوا الآنَ! أَنَا أَنَا هُوَ
وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي.
أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي.
سَحَقْتُ وَإِنِّي أَشْفِي
وَلَيْسَ مِنْ يَدِي مُخَلِّصٌ»
(تثنية ٣٢: ٣٩)

لذا، بينما نفكِّر في مستقبلنا مع وجود فيروس كورونا — أو مع وجود أيَّة أحوالٍ أُخرى تهدِّد

حياتنا — يخبرنا يعقوبُ بالكيفيَّة التي ينبغي بها أن نفكرَ ونتكلَّم:

«أَنْ تَقُولُوا: إِنْ شَاءَ الرَّبُّ وَعِشْنَا نَفْعَلُ هَذَا أَوْ ذَاكَ» (يعقوب ٤: ١٥)

إنْ شاءَ الرَّبُّ سنعيش. وإنْ لم يشأ، فلن نعيش.

ربّما لن أعيشَ حتَّى أشهدَ نَشْرَ هذا الكتاب؛ فقد أصيبُ واحدٌ على الأقلِّ من أقاربي بعدوى فيروس كورونا، وأنا في الرابعة والسبعين من عمري، ولديَّ رئتان ضعيفتان بسبب جلطةٍ دمويَّة، والتهابٍ موسميٍّ في الشُّعَب الهوائيَّة. لكنْ ليست هذه العوامل هي التي تقرِّر مصيري، بل الله هو الذي يفعل. أهذه أخبارٌ سارَّة؟ نعم. وسوف أحاول أن أبيِّن السببَ في الفصل التالي.

الفصل الخامس:
حلاوةُ سلطانه

لماذا ينبغي أن أستقبلَ خبرَ سيادة الله على فيروس كورونا، وعلى حياتي، على أنَّه تعليمٌ حلوٌ وسارّ؟ السرُّ، كما ذكرتُ سابقًا، يكمن في **معرفة أنَّ السيادة نفسها التي كان في وسعها أن تمنعَ فيروس كورونا، لكنَّها لم تفعل، هي التي تساند النفس وتدعمها في أثناء الأزمة.** بتعبيرٍ آخر، إنْ حاوَلْنا تبرئة الله من سيادته على الألم، فنحن بهذا نضحي بسيادته على تحويل كلِّ الأشياء للخير.

إطاحةُ الله عن عرشه ليست بالخبر السارّ

إنَّ السيادةَ نفسها التي تسيطر على المرض هي التي تساند في أوقات الخسارة والفقدان. والسيادة نفسها التي تأخذ الحياة هي التي هزمَتِ الموت، وأعادت المؤمنين إلى السماء وإلى المسيح. ليس بالأمر السارِّ أن نظنَّ أنَّ الشيطان، أو المرض، أو العملَ التخريبيّ، أو القَدَر، أو الصدفة لها القَولُ الفَصْل في حياتي. **ليست** هذه أخبارًا سارَّة.

لكنَّ حُكم الله وسيادته هما حقًّا أخبار سارَّة. لماذا؟ لأنَّ الله قدُّوس وبارٌّ وصالحٌ وغيرُ محدودٍ في حكمته؛ فهو «عِنْدَهُ الْحِكْمَةُ وَالْقُدْرَةُ. لَهُ الْمَشُورَةُ وَالْفِطْنَةُ» (أيُّوب ١٢: ١٣)، و«لِفَهْمِهِ لا إِحْصَاءَ» (مزمور ١٤٧: ٥)، و«يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ» (رومية ١١: ٣٣). وهدفه الأكبر هو أن «يُعَرَّفَ الآنَ عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ

وَالسَّلاطِينِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ ... بِحِكْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ» (أفسس ٣: ١٠).

لا شيء يباغتُ الله، أو يربكُه، أو يُحيِّره؛ فقدرته غير المحدودة هي في يد قداسته وبرِّه وصلاحه غير المحدودة — وكذلك في يد حكمته غير المحدودة. وكلُّ ذلك هو في خدمة أولئك الذين يؤمنون بابنه، يسوع المسيح. وهناك صلةٌ وثيقةٌ ما بين فيروس كورونا وإرسال الله يسوع كي يموتَ عن الخطاة.

كيف ضمن الله «كلَّ شيء» للخطاة

تَكمُنُ طبيعةُ هذه الصلة في الآية في رومية ٨: ٣٢ التي تقول: «الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ كَيْفَ لا يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَه كُلَّ شَيْءٍ؟» يعني هذا أنَّ استعدادَ الله لأن يرسلَ ابنه كي يُصلَب عوضًا عنَّا كان إعلانًا وتصديقًا منه على أنَّه سوف يستخدم كلَّ سيادته كي «يَهَبَنا كلَّ شيء». فعبارة «كَيْفَ لا يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ **كُلَّ**

شَيْءٍ؟» تعنـي أنَّـه قطعًـا وبـكلِّ تأكيـد سـيفعل ذلـك، وأنَّ هـذا مضمـونٌ بـدم ابنـه.

ومـا «كلُّ شيء» الـذي يتحـدَّث النـصُّ بشـأنه؟ هـو الأمـور التـي نحتـاج إليهـا كي نصنـعَ مشـيئته، ونمجِّـد اسـمه، ونصـل بسـلام إلى محضره البهيـج.

فبعـد ثـلاث آيـات، أوضـح بولـس الرسـول كيفيَّـة حـدوث ذلـك عـلى أرض الواقـع — أي في وسـط فـيروس كورونـا. كيـف سـيبدو الوضـع إذًا حـين يلتقـي فـيروس كورونـا وتعهُّـدُ الله غـير المحـدود، والمعتمَـد بالـدَّم، بـأنْ يَهَبَنـا «كلَّ شيء»؟ إليكـم مـا يقولـه بولـس الرسـول في هـذا الشـأن:

«مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ
أَمْ ضِيْقٌ أَمِ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ
خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:
إِنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ.
قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ.

وَلَكِنَّنَا فِي هَذِهِ جَمِيعِهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا»

(رومية ٨: ٣٥-٣٧)

لا تَفُتْـكَ هـذه الكلـمات المذهلـة، رغـم أنَّهـا موجعـة: «نُمَـاتُ كُلَّ النَّهَـار». يعنـي ذلـك أنَّ عبورَنـا آمِنـين مـن المـوت هـو أحـد الأمـور التـي لنـا مـن الله ضمـن «كلِّ شيء» الـذي سـيهَبُنا الله إيَّـاه؛ فهـو لم يشـفقْ عـلى ابنـه، بـل بذلَـه مـن أجلنـا، أو كـما يقـول روميـة ٨: ٣٨-٣٩: «فَـإِنِّي مُتَيَقِّـنٌ أَنَّـهُ لا مَـوْتَ وَلا حَيَـاةَ ... تَقْـدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَـا عَـنْ مَحَبَّـةِ اللهِ الَّتِـي فِي الْمَسِـيحِ يَسُـوعَ رَبِّنَـا».

ما يقصدُ به الشيطان شرًّا

حتَّـى لـو كانـت للشـيطان — بحسـب القَـدْر الـذي يُسـمح لـه بـه — علاقـةٌ بآلامنـا وموتنـا، فهـو ليـس مطلَـق القـوَّة. لا يقـدرُ الشـيطان أن يؤذيَنـا دون سـماح مـن الله، ودون حـدودٍ موضوعـةٍ لـه (أيُّـوب ١: ١٢؛ لوقـا ٢٢: ٣١؛

٢كورنثوس ١٢: ٧). في النهاية، من الصواب أن نقولَ للشيطان ما قاله يوسف لإخوته الذين باعوه عبدًا: «أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا» (تكوين ٥٠: ٢٠).

لكنِ احترسْ من أن تخفِّف من معنى هذه الفكرة. لا يعني ذلك أنَّ «الله **استخدمَ** الشرَّ للخير»، أو أنَّه «**حوَّل** الشرَّ إلى خيرٍ»؛ لأنَّ يوسف قال: «أَمَّا اللهُ **فَقَصَدَ** بِهِ خَيْرًا». كان قصدُ إخوة يوسف شرًّا، في حين كان قصد الله للخير. لم يبدأ الله بمعالجة نتائج هذا العمل الشرِّير في منتصف الطريق، بل كان لديه قصد ومغزى منذ البداية. فمنذ البداية، قصد الله به خيرًا.

هذا هو مفتاحُ عزائنا حين يتسبَّب شرُّ البشر وشرُّ الشيطان في آلامٍ لنا. ففي المسيح، لدينا كلُّ الحقِّ أن نقول للشيطان (أو للأشرار): «أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا». فلا الشيطان، ولا المرض، ولا

الإنسـان الخاطـئ يملكـون السـيادة، بـل الله وحـده هــو صاحــبُ الســيادة. وهــو صالــح وحكيــم وذو سلطان.

ليس عصفورًا، بل كلُّ شعرة

كان كلام يسـوع لتلاميـذه عـن حـلاوة سـيادة الله هــو الأجمـلَ والأروعَ:

«أَلَيْــسَ عُصْفُــورَانِ يُبَاعَــانِ بِفَلْــسٍ؟ وَوَاحِــدٌ مِنْهُــمَا لا يَسْــقُطُ عَــلَى الأَرْضِ بِــدُونِ أَبِيكُــمْ. وَأَمَّــا أَنْتُــمْ فَحَتَّــى شُــعُورُ رُؤُوسِــكُمْ جَمِيعُهَــا مُحْصَــاةٌ. فَــلا تَخَافُــوا. أَنْتُــمْ أَفْضَــلُ مِــنْ عَصَافِــيرَ كَثِــيرَةٍ» (متَّى ١٠: ٢٩-٣١)

لا يسـقطُ عصفـورٌ واحـدٌ إلَّا بحسـب خُطَّـة الله، ولا يتحـرَّكُ فـيروس واحـدٌ إلَّا بحسـب خُطَّـة الله. هـذه سـيادةٌ بالغـةُ التدقيـق والاهتـمام بالتفاصيـل. ثـمَّ مــاذا قــال يســوع بعــد هــذا؟ قــالَ ثلاثــةَ أمــور:

أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ، وشُعُورُ رُؤُوسِكُمْ جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ، فَلا تَخَافُوا.

ولِمَ علينا ألَّا نخاف؟ لأنَّ سيادة الله المدقِّقة هذه — سواء عشنا أم مُتنا — تخدم قداسته وبرَّه وصلاحه وحكمته. فإنَّنا في المسيح لسنا قِطَع شِطْرَنْج في لعبة الله يمكن الاستغناء عنها، بل نحن أبناؤه الأعزَّاء عليه — «أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ».

هذا هو السرُّ الذي تحدَّثتُ بشأنه سابقًا: **معرفة أنَّ السيادة نفسها التي كان في وسعها أن تمنعَ فيروس كورونا، لكنَّها لم تفعل، هي التي تساند النفس وتدعمها في أثناء الأزمة**. ولا يتوقَّفُ الله في سيادته عند مجرَّد الدعم والمساندة، بل يحرص على أن تعملَ كلُّ الأشياء، سواء كانت مُرَّة أم حُلْوة، معًا لخيرنا، أي لخير الذين يحبُّون الله، والمدعوِّين في المسيح (رومية ٨: ٢٨-٣٠).

لن أموتَ حتَّى ينتهي عملي

هـذا النـوع مـن اليقـين الراسـخ كالصخـر في وجـه المـوت هـو مـا أمـدَّ شـعبَ المسـيح بالجـرأة والبسـالة طَوال ألفَـي سـنة. فقـد كان حقُّ سـيادة الله الحكيمـة والصالحـة هـو القـوَّةَ التـي ثبَّتـت آلافَ المؤمنـين، ومكَّنتهـم مـن تقديـم تضحيـاتِ المحبَّـة.

مثـلًا، في كانـون الثاني/ينايـر من عـام ١٨١٢م، كتـب هـنري مارتـن (Henry Martyn)، المرسَـل إلى الهنـد وبـلاد فـارس، والـذي مـاتَ بالطاعـون (وبـأ نظـير فـيروس كورونـا)، وهـو في الحاديـة والثلاثـين مـن عمـره (١٦ تشريـن الأوَّل/أكتوبـر ١٨١٢م)، الكلـمات التاليـة في مذكِّراتـه:

> «حسـبما أرى، سـتكون السـنة الحاليَّـة أخطـر مـن أيَّـة سـنةٍ أخـرى مضـت. لكـن، إنْ بقيـتُ عـلى قيـد الحيـاة حتَّـى انتهـائي مـن ترجمـة العهـد الجديـد إلى

اللغة الفارسيَّة، فلن تكونَ لحياتي بعدَ هذا أهمِّيَّةٌ كبيرة. وسواء كان نصيبي هو الحياة أم الموت، فليتعظَّمِ المسيحُ فيّ! فإذا كان لديه عملٌ آخر يريدني أن أقوم به، فلن أموت».[٥]

أُعيد صياغة هذا التعبير كثيرًا على النحو التالي: «لن أموتَ حتَّى ينتهي عملُ المسيح الذي حدَّده لي». وهذا صحيح تمامًا؛ لأنَّه قائمٌ على حقيقة أنَّ الحياة والموت هما في يد إلهنا صاحب السيادة. حقًّا إنَّ قضيَّة المسيح بأكملها هي في يده. فقبل ذلك بسبع سنوات، كتب مارتن، وهو في الرابعة والعشرين من عمره، الكلمات التالية:

«لو لم يكُنِ الله سيِّدَ الكون، لكنتُ شقيًّا وبائسًا جدًّا. لكنَّ الربَّ هو مَن يملك، فلتَبتَهِجِ الأرض. وسوف تنتصر

قضيَّـة المسـيح. ابتهجـي يـا نفـسي بهـذا الرجـاء».[٦]

الجزء الثاني:

ماذا يفعل الله

بواسطة

فيروس كورونا؟

أفكارٌ تمهيديَّة:
رؤيةٌ وتوجيهُ أنظار

إنْ لم يكُنِ الله قد أُطيحَ عن عرشه؛ وإنْ كان في الحقيقة مَن يضبطُ «كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ» (أفسس ١: ١١)، وإن كان وباء فيروس كورونا هذا، بكلِّ ما يسبِّبه من خرابٍ، هو في يده المتَّسمة بالقداسة والبرِّ والصلاح والحكمة، فماذا يفعل الله إذًا؟ وما مقاصدُه؟

كُفُّوا عَنِ الْإِنْسان

أوَّل ما أودُّ أن أقولَه، قبل محاولة الإجابة عن هذا السؤال، هو أنَّ رأيي، بالمقارنة بحكمة الله، لا يساوي شيئًا، وكذلك رأيك أنت أيضًا؛ فما نظنُّه، بحسب ما يمليه علينا تفكيرنا، ليس ذا أهمِّيَّة تُذكَر. يقول الكتاب المقدَّس: «الْمُتَّكِلُ

عَـلَى قَلْبِـهِ هُـوَ جَاهِـلٌ» (أمثـال ٢٨: ٢٦)، في المقابـل، يوصينـا بـالآتي: «تَـوَكَّلْ عَـلَى الـرَّبِّ بِـكُلِّ قَلْبِـكَ وَعَـلَى فَهْمِـكَ لا تَعْتَمِـدْ» (أمثـال ٣: ٥).

فإنَّنـا، نحـن البـشرَ، محـدودون، وخطـاةٌ، ومقيَّـدون بحـدود ثقافتنـا، ونتشـكَّل (ويُسـاء تشـكيلنا أيضًـا) بحسـب جيناتنـا وتاريخنـا الشـخصيّ. ويخـرجُ مـن داخـل قلوبنـا وعقولنـا وأفواهنـا كلُّ أشـكال التبريـرات لما نفضِّلـه ونميـل إليـه. لـذا، مـن الحكمـة أن ننتبـه إلى قـول إشـعياء النبـيّ: «كُفُّـوا عَـنِ الإِنْسَـانِ الَّـذِي فِي أَنْفِـهِ نَسَـمَةٌ لأَنَّـهُ مَـاذَا يُحْسَـبُ؟» (إشـعياء ٢: ٢٢).

ألا يُعَـدُّ إذًا تأليفـي هـذا الكتـاب عجرفـةً؟ فضـلًا عـن وجـودِ قسـمٍ كامـلٍ فيـه بعنـوان: «مـاذا يفعـل الله بواسـطة فـيروس كورونـا؟»؟

كلَّا، ليـس هـذا عجرفـةً. ليـس إنْ كان الله قـد تكلَّـم بالفعـل في الكتـاب المقـدَّس؛ وليـس إنْ كان قـد تنـازل كي يحدِّثنـا بكلـمات بشريَّـة حتَّـى يتسـنَّى لنـا أن نعرفَـه ونعـرفَ طرقَـه بالحقيقـة

(وإنْ كانَ بصورةٍ جزئيَّة)، وليس إنْ كانت كلمات بولس الرسول صحيحة: «[الله] أَجْزَلَهَا [نعمته] لَنَا بِكُلِّ حِكْمَةٍ وَفِطْنَةٍ، إِذْ عَرَّفَنَا بِسِرِّ مَشِيئَتِهِ» (أفسس ١: ٨-٩)؛ وليس إنْ كنَّا، كما قال بولس **حين نقرأ** سنقدر أن نفهمَ «دِرَايَتِي بِسِرِّ الْمَسِيحِ» (أفسس ٣: ٤).

ليس الله متكتِّمًا بشأن ما يفعلُه في هذا العالم؛ فقد أعطانا الكتاب المقدَّس. وقد أشرتُ في الفصل الثاني إلى بعض الأسباب التي تدعونا إلى الثقة بأنَّ هذا الكتاب المقدَّس هو كلمة الله. لذا، لستُ أهدف هنا إلى تخيُّل أو ابتكار أفكار بشأن ما قد يفعله الله، بل هدفي الحقيقيُّ هو أن أصغيَ إلى كلمته في الكتاب المقدَّس، ثمَّ أستودعكم ما أسمعه.

ما أبعدَ طرقه عن الاستقصاء!

أودُّ أن أقول شيئًا آخر قبل محاولة الإجابة عن سؤال: «ماذا يفعل الله؟»، وهو إنَّ الله دائمًا ما يفعل مليارات الأشياء التي لا نعرفها:

«كَثِيرًا مَا جَعَلْتَ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهِي
عَجَائِبَكَ وَأَفْكَارَكَ مِنْ جِهَتِنَا.
لا تُقَوَّمُ لَدَيْكَ.
لَأُخْبِرَنَّ وَأَتَكَلَّمَنَّ بِهَا.
زَادَتْ عَنْ أَنْ تُعَدَّ» (مزمور ٤٠: ٥)

فإنَّ مقاصده من وراء فيروس كورونا ليسَتْ فقط أكثر جدًّا من أن تُحصَى، بل هي، من نواحٍ عدَّة، بعيدةٌ عن الاستقصاء. «يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ!» (رومية ١١: ٣٣). لكن، عندما كتب بولس هذا،

لم يكُنْ يقصد أن يقولَ لنا: «أغلقوا إذًا كتبكم المقدَّسة، واصنعوا واقعَكم الخاصّ».

بل على النقيض، هذه الكلمات عن طرق الله البعيدة عن الاستقصاء كانت ذروة أحد عشر أصحاحًا، قرأنا فيها أعظم الأخبار، والتي كُتِبت جميعها كي نفهمها. مثلًا، حين تناولَ بولس حتميَّة الألم، قال:

> «بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضًا فِي الضِّيقَاتِ **عَالِمِينَ** أَنَّ الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا وَالصَّبْرُ تَزْكِيَةً وَالتَّزْكِيَةُ رَجَاءً وَالرَّجَاءُ لا يُخْزِي لأَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا» (رومية ٥: ٣-٥).

«**عَالِمِينَ**»! كُتِب الكتاب المقدَّس حتَّى **نعلَم** الأمور التي أعلنها الله، ولا سيَّما بشأن الألم — بما في ذلك آلام تفشِّي فيروس كورونا. وهكذا فإنَّ تعبير «**بعيدة عن الاستقصاء**» يعني أنَّ الله دائمًا ما يفعل ما يفوق قدرتنا على الرؤية،

بل حتَّى ما يمكننا أن نراه، ما كنَّا لنراه لولا أنَّه أعلنَه لنا.

توجيه الأنظار إلى واقع

ليس دوري هنا إذًا هو أن أتخيَّل، كما تخبرُنا أغنية جون لينون الشهيرة بعنوان «Imagine» (بمعنى تخيَّلْ)،[٧] والتي فيها يطلبُ إلينا أن نتخيَّلَ أنَّه لا توجد سماء، ولا جحيم، بل فقط السماء الزرقاء من فوقنا. ثمَّ يقول: «مثل هذا التخيُّل سهلٌ. فقط جرِّبه». أجل، هو سهلٌ حقًّا، بل أسهلُ من اللازم. لكنْ، يفرض فيروس كورونا واقعًا صعبًا، لا تخيُّلات سهلة. والله وكلمته هما الواقع الذي نحتاج إليه — أي الصخرة التي نقف عليها. لذا، فهدفي هنا هو أن أوجِّه الأنظار إلى الواقع، لا أن أختلقَ واقعًا. هدفي أن أسمعَ ما قاله الله، وأقرَّ به وأؤيِّدَه، لا أن أتخيَّل.

سوف أوجِّه أنظارك إلى ما يعلِّمه الكتاب المقدَّس، ثمَّ أربط هذا بفيروس كورونا. وسيكون عليك أن تَحكُم بالحقّ.

أقول ذلك لأنَّ هذا هو ما أخبرنا به يسوع بشأن «تمييز هذا الزمان». فقد كان ساخطًا لأنَّ الناس كانوا يستطيعون استخدام عقلهم ومنطقهم لفَهْم أنماط الحالة الجوِّيَّة، في حين عجزوا عن استخدامه لفَهْم أعمال الله في التاريخ:

> «يَا مُرَاؤُونَ تَعْرِفُونَ أَنْ تُمَيِّزُوا وَجْهَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَأَمَّا هَذَا الزَّمَانُ فَكَيْفَ لا تُمَيِّزُونَهُ؟ وَلِمَاذَا لا تَحْكُمُونَ بِالْحَقِّ مِنْ قِبَلِ نُفُوسِكُمْ؟»
> (لوقا ١٢: ٥٦-٥٧)

لذلك، رجائي هو أن تطلبَ معونةَ الله، وتنظر إلى كلمة الله، ثمَّ تَحكُم بنفسك بالحقّ. أتمنَّى أن

تمتحن ما أقولُه بحسب المكتوب (١يوحنَّا ٤: ١)، وأن تتمسَّك بالحَسَن (١تسالونيكي ٥: ٢١).

ستَّة مسارات ينبغي السلوك فيها

يمكن أن تُكتَبَ صفحاتٌ كثيرةٌ عن كلِّ إجابةٍ من الإجابات الستَّة التي سأقدِّمها في ما يلي عن سؤال: «ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟» لكن، نظرًا إلى ضيقِ الوقت، فلن أطيلَ في ذلك، بل سأكتفي فقط بتوجيه الأنظار إلى مسارات الحقِّ الكتابيِّ التي أرجو أن تتَّبعَها بعد أن تُغلقَ هذا الكتاب. كنتُ أتمنَّى لو أمكننا السيرُ معًا في تلك المسارات مسافة طويلة، لكنْ سيكون عليَّ أن أترَكَ لك هذه المُهمَّة، وأدعو الله أن يرشدَك.

ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

الفصل السادس:
إظهارُ البشاعة الأدبيَّة للخطيَّة

الإجابة الأولى

يرسم الله للعالم، بواسطة وباء
فيروس كورونا، كما بواسطة أيَّة
بليَّة أخرى، صورةً مادِّيَّةً وملموسةً
للبشاعة الأدبيَّة والقُبح الروحيِّ
للخطيَّة التي تحطُّ من قدر الله.

في واقع الأمر، الخطيَّةُ هي سبب كلِّ شقاءٍ وبؤسٍ مادِّيّ. يروي لنا الأصحاح الثالث

في الكتاب المقدَّس الكيفيَّة التي دخلَتْ بها الخطيَّةُ العالم، مبيِّنًا أنَّ الخطيَّة هي أصل الخراب والشقاء الموجود في العالم (تكوين ٣: ١-١٩). وقد لخَّص بولس الأمرَ في رومية ٥: ١٢ قائلًا: «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ».

ومنذ ذلك الحين، ظلَّ العالم في حالة انكسار، وصار كلُّ جمالٍ فيه ممتزجًا بالشرِّ والكوارث والأمراض والإحباطات. فقد خلقه الله عالمًا مثاليًّا: «وَرَأى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإذا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا» (تكوين ١: ٣١)؛ لكن، منذ سقوط البشريَّة في الخطيَّة وحتَّى يومنا هذا، لم يَعُدِ التاريخ، مع كلِّ عجائبه، سوى سيرٍ متحرِّكٍ ينقلُ الجثث.

السقوطُ دينونة

لا يحسبُ الكتاب المقدَّس هذا الانكسار أمرًا طبيعيًّا، بل يرى أنَّه دينونةُ الله على عالمٍ استشرَتْ فيه الخطيَّة. وإليكم وَصْفَ بولس لنتائج دينونة الله على العالم بسبب الخطيَّة:

«إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ- لَيْسَ طَوْعًا بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَخْضَعَهَا — عَلَى الرَّجَاءِ. لأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلادِ اللهِ. فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ» (رومية ٨: ٢٠-٢٢).

البُطْل؛ عبوديَّة الفساد؛ الأنين — هذه صورٌ للخراب والبؤس الشامل الذي حلَّ منذ أن دخلَتِ الخطيَّةُ العالم. ويقول بولس إنَّ هذا الخرابَ هو بسبب دينونة الله: «**إِذْ أُخْضِعَتِ** الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ ... مِنْ أَجْلِ **الَّذِي أَخْضَعَهَا** —

عَـلَى الرَّجَـاءِ» (روميـة ٨: ٢٠). لم يكـن الشـيطان هـو مَـن أخضـعَ الخليقـة **عـلى الرجـاء**؛ ولم يكـن آدم هـو مَـن أخضعهـا **عـلى الرجـاء**، بـل الله هـو مَـن فعـل ذلـك، كـما قـال بولـس في روميـة ٥: ١٦: «لأَنَّ الْحُكْـمَ مِـنْ وَاحِـدٍ لِلدَّيْنُونَـةِ».

أولاد الله أنفسهم تحت الدينونة

لا شـكَّ أنَّ عبـارة «حُرِّيَّـةِ مَجْـدِ أَوْلاَدِ اللهِ» (روميـة ٨: ٢١) مملـوءةٌ بالرجـاء؛ فلـدى الله خُطَّـةٌ مذهلـةٌ بشـأن خليقـةٍ جديـدة، حيـث «يَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَـةٍ مِـنْ عُيُونِهِـمْ» (رؤيـا ٢١: ٤). أمَّـا في الوقـت الحـاليّ، فجميعنـا تحـت دينونـة الله. فقـد أخضـعَ الله العـالم للمـوت والكـوارث والبـؤس.

أجـل، حتَّـى أولاد الله أنفسـهم — الذيـن «سَـبَقَ فَعَيَّنَهـم لِلتَّبَنِّـي» (أفسـس ١: ٥)، وافتداهم بـدم ابنـه (أفسـس ١: ٧)، وعيَّنهـم للحيـاة الأبديَّـة (أفسـس ١: ١٨)- أي نحـن أنفسـنا نتألَّـم ونمـوت بسـبب الدينونـة التـي أوقعَهـا الله في السـقوط:

«بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضًا نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا» (رومية ٨: ٢٣). يُكتَسَح **المؤمنون** بمياه أمواج تسونامي، ويُقتَل **المؤمنون** في الهجمات الإرهابيَّة، ويُصاب **المؤمنون** بعدوى فيروس كورونا.

تنقيةٌ لا عقاب

يَكمُن الفرق، عند المؤمنين — أي الذين قبلوا المسيح بصفته كنزهم الأسمى — في أنَّ اختبارَ هذا الألم والفساد ليس دينونة: «إِذًا لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (رومية ٨: ١)؛ فهو للمؤمنين ألمُ تنقية، وليس ألمَ عقاب.

«لأَنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْنَا لِلْغَضَبِ» (١تسالونيكي ٥: ٩). فإنَّنا، نظير جميع البشر، نموتُ من جرَّاء أمراض أو كوارث، لكنْ لأنَّنا في المسيح، فقد انتُزِعت «شوكة» الموت

(١كورنثوس ١٥: ٥٥)، وصار «الْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ» (فيلبِّي ١: ٢١). فقد صار رحيلُنا عن العالم يعني أنْ نكون «مَعَ الْمَسِيح» (فيلبِّي ١: ٢٣).

الشيطانُ حقيقة، لكنَّ حرِّيَّتُه مقيَّدة

حين أنسب مآسي هذا العالم وآلامه إلى دينونة الله، فلستُ بهذا أُعمي عينيَّ عن حقيقة أنَّ للشيطان علاقةً كبيرةً بشقائنا العالميّ. فإنَّ الكتاب المقدَّس يسمِّي الشيطان: «إِلَه هَذَا الدَّهْرِ» (٢كورنثوس ٤: ٤)، و«رَئِيس هَذَا الْعَالَم» (يوحنَّا ١٢: ٣١)، و«رَئِيس سُلْطَانِ الْهَوَاءِ» (أفسس ٢: ٢). وقد كان «قَتَّالًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ» (يوحنَّا ٨: ٤٤). وهو «يربط» البشر، و«يتسلَّط عليهم» بأمراضٍ كثيرة (لوقا ١٣: ١٦؛ أعمال الرسل ١٠: ٣٨).

لكنَّ الشيطانَ مربوطٌ بلِجام، ونهاية هذا اللجام في يد الله؛ فالشيطان لا يعملُ دون إذنٍ من الله، ولا يتصرَّف إلَّا بسماحٍ منه، وبحسب

حـدودٍ معيَّنـةٍ موضوعـةٍ لـه (أيُّـوب ١: ١٢؛ ٢: ٦؛ لوقـا ٢٢: ٣١؛ ٢كورنثـوس ١٢: ٧). الله هـو مَـن يقـرِّر بصـورةٍ نهائيَّـةٍ مـدى الـضَّرر الـذي سيوقِعُه الشـيطان. وليـس الشـيطانُ منفصـلًا عـن دينونـة الله، بـل بالأحـرى يخدمهـا — وإن كان عـلى نحـوٍ غـير متعمَّـد.

السؤال الأساسيّ

والآن، إليكـم السـؤال الـذي يسـلِّط مزيـدًا مـن الضَّـوء عـلى المغـزى مـن فـيروس كورونـا: «لِمَ يوقـعُ الله عـلى العـالم دينونـةً **مادِّيَّـة** بسـبب شرٍّ **أدبيّ**؟» فقـد عـصى آدم وحـوَّاء الله، وانقلبـا عليـه، وفضَّـلا حكمتَهـما عـلى حكمتـه، والاسـتقلال عنـه عـلى الاتِّـكال عليـه. لكـن كان هـذا **العصيـان**، وهـذا **التفضيـل** شرًّا روحيًّـا وأدبيًّـا، أي خطيَّـةً في **الـروح** لا في الجسـد. فقـد كانـت تتعلَّـق بـالله في المقـام الأوَّل، لا بالإنسـان.

لكنَّ الله، في ردٍّ فعلٍ على هذا التمرُّد الأدبيِّ والروحيّ، أخضعَ العالم **المادِّيَّ** للكوارث والشقاء. لماذا؟ لماذا لم يترك العالم المادِّيَّ على حالته الحَسَنة، ويجلب الشقاء على الروح البشريَّة، ما دام قد بدأ منها كلُّ شيء؟

إجابةٌ مقترَحة

إليكم إجابتي المقترَحة: وضعَ الله العالمَ المادِّيَّ تحت لعنةٍ حتَّى تصير الأهوالُ المادِّيَّةُ الملموسةُ التي نراها من حولنا في الأمراض والبلايا صورةً حيَّةً وواضحةً تُظهِر لنا مدى بشاعة الخطيَّة. بمعنى آخر، **الشرُّ المادِّيُّ مَثَلٌ، أو مشهدٌ دراميّ، أو لافتةٌ تشيرُ إلى الفظاعة الأدبيَّة للتمرُّد على الله.**

كيف يُعَدُّ هذا ملائمًا؟ هذا ملائمٌ لأنَّنا، في وضعنا الحاليِّ بعد السقوط، وقد أصابتنا الخطيَّة بالعمى، عاجزون عن رؤية قبحِ ارتكاب الخطيَّة في حقِّ الله والشعور بمدى

بشاعتها. فنادرًا ما يشعر أحدُهم بمدى بشاعة تفضيل أشياءَ أخرى على الله. بل مَن منَّا يجافيه النوم بسبب تقليله اليوميِّ من شأن الله بتجاهُله أو عصيانه؟

لكنْ ما أشدَّ ما نشعر بآلامنا المادِّيَّة! وكم نغضب إذا مسَّ الله أجسادنا! ربَّما لا نحزن لأنَّنا نحطُّ من قدر الله في قلوبنا كلَّ يوم. لكنْ فليُهدِّدْ فيروس كورونا أجسادَنا، وحينئذ سيستحوذُ الله على كلِّ انتباهنا. أليس هذا صحيحًا؟ **فالألمُ المادِّيُّ هو بوقُ الله الذي يضربُ به كي يخبرَنا بأنَّ العالمَ يعاني خَطْبًا مروِّعًا.** فالأمراض والتشوُّهات هي صورٌ يرسمُها الله في العالم **المادِّيِّ** كي يُظهِر لنا الكيفيَّة التي تبدو الخطيَّة عليها في العالم **الروحيّ**.

يظلُّ هذا صحيحًا، حتَّى وإنْ أُصيبَ بعضٌ من أتقى المؤمنين في العالم بهذه الأمراض والتشوُّهات. فالبلايا عيِّنة يُظهِر بها الله لنا ما تستحقُّه الخطيَّة، وما ستناله يومًا في الدينونة،

لكنْ بدرجةٍ أسوأ بما لا يُقاس. فهي تحذيرات، ونداءاتُ صحوةٍ تنبِّهنا إلى البشاعة الأدبيَّة والقبح الروحيِّ لارتكاب الخطيَّة في حقِّ الله.

ليت هذا يجعلنا جميعًا ندرك ونشعر بمدى كراهة، وقبح، وبشاعة تعامُلِنا مع خالقنا بازدراء، وتجاهُلنا له، وعدم وَضْع ثقتنا فيه، وحَطِّنا من قدره، ومنحه اهتمامًا في قلوبنا أقلَّ حتَّى من الذي نوليه لتصفيفة شعرنا.

نحتاج لأن نرى ذلك، ونشعر به، وإلَّا فلن نلتَفتَ إلى المسيح طالبين الخلاص من قُبْح الخطية. ربَّما نصرخ طالبين النجاة من **عقوبة** الخطيَّة، لكنْ ألعلَّنا نرى ونبغض ذلك **القبحَ** الأدبيَّ للخطيَّة، الذي يحطُّ من قَدْر الله؟ إذا لم يحدث ذلك، فلن يكون السبب هو أنَّ الله لم يمدَّنا بصورٍ حيَّةٍ وواضحةٍ لها في شقائنا المادِّيِّ- مثل فيروس كورونا. ومن ثَمَّ، يصرخ الله برحمته في هذه الأيَّام، قائلًا لنا: استيقظوا!

هكـذا تبـدو الخطيَّـة في حـقِّ الله؛ فهـي بشـعةٌ وقبيحـةٌ، وأخطـر كثـيرًا مـن فـيروس كورونـا.

الفصل السابع:
إيقاعُ دينوناتٍ إلهيَّةٍ خاصَّة

الإجابة الثانية

سوف يصاب بعضُ الأشخاص
بعدوى فيروس كورونا كدينونةً
خاصَّةً من الله عليهم، بسبب
توجُّهاتهم وأفعالهم الخاطئة.

لا تعني حقيقةُ أنَّ كلَّ شقاءٍ هو نتيجةٌ للسقوط — أي نتيجةُ دخولِ الخطيَّة التي تحطُّ من قَدْر الله إلى العالم — أنَّ كلَّ ألمٍ

فـرديٍّ يُعَـدُّ دينونـةً خاصَّـةً مـن الله عـلى خطايـا شـخصيَّة. فمثـلًا، لم تكُـنْ آلام أيُّـوب بسـبب خطايـاه الشـخصيَّة، ويتَّضـحُ ذلـك مـن أوَّل آيـةٍ في السـفر: «كَانَ رَجُـلٌ ... اسْـمُهُ أَيُّـوبُ. وَكَانَ هَـذَا الرَّجُـلُ كَامِـلًا وَمُسْـتَقِيمًا يَتَّقِـي الله وَيَحِيـدُ عَـنِ الـشَّرِّ» (أيُّـوب ١: ١).

وكـما رأينـا سـابقًا، يقـاسي شـعبُ الله الكثـير مـن النتائـج المادِّيَّـة لدينونتـه. وقـد عـبَّر الرسـول بطـرس عـن الأمـر بهـذه الكلـمات:

«لأَنَّـهُ الْوَقْـتُ لابْتِـدَاءِ الْقَضَـاءِ **مِـنْ بَيْـتِ اللهِ**. فَـإِنْ كَانَ أَوَّلًا **مِنَّـا**، فَـمَا هِـيَ نِهَايَـةُ الَّذِيـنَ لا يُطِيعُـونَ إِنْجِيـلَ الله؟ وَإِنْ كَانَ الْبَـارُّ بِالْجَهْـدِ يَخْلُـصُ، فَالْفَاجِـرُ وَالْخَاطِـئُ أَيْـنَ يَظْهَـرَانِ؟» (١بطـرس ٤: ١٧-١٨).

هـذه الدينونـةُ الإلهيَّـة، للَّذيـن هـم مـن «بيـت الله»، هـي **للتنقيـة**، لا **للعقـاب**. ليـس إذًا كلُّ ألمٍ ناجـمًا عـن دينونـاتٍ خاصَّـةٍ مـن الله عـلى خطايـا

معيَّنـة. لكـن مـن ناحيـة أخـرى، يسـتخدمُ الله المـرضَ أحيانًـا كي يوقـعَ دينونـاتٍ خاصَّـةً عـلى الذيـن يرفضونـه، ويسـلِّمون أنفسـهم إلى الخطيَّـة.

أمثلةٌ لدينوناتٍ خاصَّةٍ على خطايا معيَّنة

إليكـم مَثَلَـين لدينونـاتٍ خاصَّـةٍ عـلى خطايـا معيَّنـة.

في الأصحـاح الثـاني عـشر مـن سـفر أعـمال الرسـل، عظَّـم هـيرودس الملـك مـن نفسـه، وسـمح بـأن يُدعَـى إلهًـا. «فَفِـي الْحَـالِ ضَرَبَـهُ مَـلاكُ الرَّبِّ لأَنَّـهُ لَـمْ يُعْـطِ الْمَجْـدَ لِلّهِ فَصَـارَ يَأْكُلُـهُ الـدُّودُ وَمَـاتَ» (أعـمال الرسـل ١٢: ٢٣). يسـتطيع الله أن يفعـلَ ذلـك مـع كلِّ مَـن يمجِّـد ذاتَـه، مـا يعنـي أنَّنـا ينبغـي أن نتعجَّـبَ؛ لأنَّ الكثـير مـن حُكَّامنـا لا يسـقطون أمواتًـا كلَّ يـوم بسـبب وقاحتهـم وغطرسـتهم أمـام الله والنـاس. فـإنَّ طـولَ أنـاةِ الله (ضَبْطَـه لنفسـه) هـو رحمـةٌ عظيمـة.

المثل الآخر هو خطيَّة ممارسة الجنس المثليّ. ففي رومية ١: ٢٧، قال الرسول بولس: «وَكَذَلِكَ الذُّكُورُ أَيْضًا تَارِكِينَ اسْتِعْمَالَ الأُنْثَى الطَّبِيعِيَّ اشْتَعَلُوا بِشَهْوَتِهِمْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ فَاعِلِينَ الْفَحْشَاءَ ذُكُورًا بِذُكُورٍ وَنَائِلِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ جَزَاءَ ضَلالِهِمِ الْمُحِقّ». هذا «الجزاءُ المُحِقُّ» هو النتيجة المؤلمة لخطيَّتهم «في أنفسهم».

وليس هذا «الجزاء المُحِقّ» سوى مَثَلٍ واحدٍ على دينونة الله التي نراها في رومية ١: ١٨، «لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمِ الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ». ومن ثَمَّ، ففي حين ليس كلُّ ألمٍ هو دينونةً خاصَّةً على خطايا معيَّنة، فبعض الألم هو كذلك بالفعل.

فلْنفحَصْ أنفسنا

وهكذا، فإنَّ فيروس كورونا ليس ببساطةٍ عقوبةً صريحةً على أيِّ إنسان؛ فقد يموت

مؤمنٌ مُحِبٌّ جدًّا، وممتلئ من الروح القدس، نالَ غفران خطاياه بالمسيح، من جرَّاء فيروس كورونا. لكنْ حريٌّ بنا أن يفحصَ كلٌّ منَّا قلبه حتَّى نميِّزَ ما إذا كان ألمُنا دينونةً من الله على سلوكنا أم لا.

إنْ كنَّا قد أتينا إلى المسيح، فسنتيقَّن أنَّ ألمنا ليس دينونةً عقابيَّةً من الله. ونستطيع التيقُّن من ذلك؛ لأنَّ يسوع قال: «مَنْ يَسْمَعُ كلامِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ **وَلا يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ** بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ» (يوحنَّا ٥: ٢٤). فلا شيءَ من الدينونة على الذين هم في المسيح يسوع (رومية ٨: ١). وهكذا فإنَّ هذا تأديبٌ، وليس قضاءً وإهلاكًا: «لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ» (عبرانيِّين ١٢: ٦).

الفصل الثامن:
نداءُ صحوةٍ للاستعداد للمجيء الثاني

الإجابة الثالثة

إنَّ فيروس كورونا هو نداءُ صحوة
آتٍ من الله كي نستعدَّ للمجيء
الثاني للمسيح.

مع أنَّ تاريخ الكنيسة حافلٌ بالنبوَّات التي لم تتحقَّق عن نهاية العالم، فإنَّ المجيء الثاني ليسوع المسيح يظلُّ حقيقةً. قال الملاك عند انطلاق يسوع إلى السماء: «أَيُّهَا الرِّجَالُ

الْجَلِيلِيُّونَ مَا بَالُكُمْ وَاقِفِينَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ؟ إِنَّ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هَكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ» (أعمال الرسل ١: ١١).

وعند مجيء يسوع ثانية، سوف يَدين العالم:

«وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ» (متّى ٢٥:٣١-٣٢).

وأولئك غير المستعدِّين للقاء المسيح، سيصادفهم ذلك اليوم بغتة:

«فَاحْتَرِزُوا لأَنْفُسِكُمْ لِئَلَّا تَثْقُلَ قُلُوبُكُمْ فِي خُمَارٍ وَسُكْرٍ وَهُمُومِ

الْحَيَـاةِ فَيُصَادِفَكُـمْ ذَلِـكَ الْيَـوْمُ بَغْتَـةً» (لوقـا ٢١: ٣٤).

أوجاع المخاض

قـال يسـوع إنَّـه سـتكونُ هنـاك مـؤشِّرات إلى مجيئـه — كالحـروب والمجاعـات والـزلازل (متَّـى ٢٤: ٧)- ودعـا هـذه العلامـات «الأَوْجَـاع [أوجـاع المخـاض]» (متَّـى ٢٤: ٨). يصـوِّر هـذا الأرضَ وكأنَّها امـرأة في مخـاض، تحـاول أن تُنجِـبَ العـالمَ الجديـد، الـذي سـيوجدُه يسـوعُ بمجيئـه.

اسـتخدمَ بولـس هـذه الصـورة نفسـها في رومية ٨: ٢٢، ونسـب أوجـاع المخـاض إلى **جميـع** أنَّـاتِ هـذا الدهـر — أي جميـع مـآسي الكـوارث والأمـراض (مـن قبيـل فـيروس كورونـا). وقـال إنَّنـا، نحـن المؤمنين، في أمراضنـا وبلايانـا، جـزءٌ من أوجـاع مخـاض هـذا العـالم. فإنَّنـا نـئنُّ منتظريـن فـداء أجسـادنا عنـد مجـيء يسـوع، حـين سـيُقيمُ

الأموات، ويعطينا أجسادًا جديدةً ممجَّدة (فيلبِّي ٣: ٢١).

«لأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ. فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ **وَتَتَمَخَّضُ** مَعًا إِلَى الآنَ. وَلَيْسَ هكَذَا فَقَطْ بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضًا نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا» (رومية ٨: ٢١-٢٣).

اسهروا!

هذه هي الفكرة التي أودُّ طرحَها: يريدنا يسوع أن نختبرَ أوجاع المخاض (بما في ذلك أوجاع فيروس كورونا) لتكونَ أشبَه بتذكيرٍ وتنبيهٍ لنا بأنَّه آتٍ، وبأنَّنا نحتاج إلى الاستعداد:

«لِذَلِكَ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مُسْتَعِدِّينَ لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لا تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَانِ» (متَّى ٢٤: ٤٤).

ليس عليك أن تكونَ من المهووسين بتحديد تاريخ محدَّد للمجيء الثاني حتَّى تُثبِتَ أنك تأخذُ كلامَ يسوع على مَحمَل الجِدّ. فإنَّ ما يقوله يسوع واضحٌ ولا لبس فيه: «انْظُرُوا! **اسْهَرُوا** وَصَلُّوا لأَنَّكُمْ لا تَعْلَمُونَ مَتَى يَكُونُ الْوَقْتُ ... **اسْهَرُوا** إِذًا لأَنَّكُمْ لا تَعْلَمُونَ مَتَى يَأْتِي رَبُّ الْبَيْتِ ... وَمَا أَقُولُهُ لَكُمْ أَقُولُهُ لِلْجَمِيعِ: **اسْهَرُوا**» (مرقس ١٣: ٣٣-٣٧).

الرسالةُ واضحةٌ تمامًا: اسهروا! اسهروا! اسهروا! وتهدفُ أوجاعُ مخاض العالم الطبيعيِّ إلى إبلاغنا بهذه الرسالة. لكن، للأسف، ما أكثر غير الساهرين! فمع جميع نشاطاتهم المحمومة، فهم يَغطُّون في نومٍ عميقٍ من جهة مجيء يسوع المسيح. إنَّ الخطرَ شديدٌ وماحق، وفيروس كورونا هو نداءُ صحوةٍ رحيمٌ كي نستعدّ.

يعني استعدادنا أن نأتيَ إلى يسوع المسيح، وننالَ غفران الخطايا، ونسلكَ في نوره. حينئذٍ، نكون ضمنَ الذين ليسوا:

«فِي ظُلْمَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكُمْ ذَلِكَ الْيَوْمُ كَلِصٍّ. جَمِيعُكُمْ أَبْنَاءُ نُورٍ... فَلَا نَنَمْ إِذًا ... بَلْ لِنَسْهَرْ وَنَصْحُ، لأَنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْنَا لِلْغَضَبِ، بَلْ لاقْتِنَاءِ الْخَلاصِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي مَاتَ لأَجْلِنَا، حَتَّى إِذَا سَهِرْنَا أَوْ نِمْنَا نَحْيَا جَمِيعًا مَعَه» (١تسالونيكي ٥: ٤-١٠).

الفصل التاسع:
إعادةُ تناغُمنا مع القيمة غير المحدودة للمسيح

الإجابة الرابعة

إنَّ فيروس كورونا هو نداءٌ رعديٌّ
من الله لنا جميعًا، حتَّى نتوبَ
ونُعيدَ حياتنا إلى تناغُمها مع
القيمة غير المحدودة للمسيح.

ليس فيروس كورونا في حدِّ ذاته دعوةً فريدةً إلى التوبة، بل في الحقيقة تُعدُّ جميعُ الكوارث الطبيعيَّة — سواء الفيضانات أم المجاعات أم

هجمات الجراد أم أمواج تسونامي أم الأمراض — دعواتِ الله المؤلمةَ والرحيمةَ إلى التوبة.

يتَّضح لنا ذلك من ردِّ يسوع في لوقا ١٣: ١-٥ على سؤال طُرِح عليه بشأن إحدى الكوارث:

«وَكَانَ حَاضِرًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قَوْمٌ يُخْبِرُونَهُ عَنِ الْجَلِيلِيِّينَ الَّذِينَ خَلَطَ بِيلاَطُسُ دَمَهُمْ بِذَبَائِحِهِمْ. فَقَالَ يَسُوعُ لَهُمْ: أَتَظُنُّونَ أَنَّ هَؤُلاءِ الْجَلِيلِيِّينَ كَانُوا خُطَاةً أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ الْجَلِيلِيِّينَ لأَنَّهُمْ كَابَدُوا مِثْلَ هَذَا؟ كَلَّا أَقُولُ لَكُمْ. بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ. أَوْ أُولَئِكَ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ الَّذِينَ سَقَطَ عَلَيْهِمُ الْبُرْجُ فِي سِلْوَامَ وَقَتَلَهُمْ أَتَظُنُّونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا مُذْنِبِينَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ السَّاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ؟ كَلَّا أَقُولُ

لَكُـمْ! بَـلْ إِنْ لَـمْ تَتُوبُـوا فَجَمِيعُكُـمْ كَذَلِـكَ تَهْلِكُـونَ».

قتـل بيلاطـس أناسًـا كانـوا يتعبَّـدون في الهيـكل، وكذلـك سـقط بـرجٌ في سـلوام، أودى بحيـاة ثمانيـة عـشر شـخصًا مـن المـارَّة. كانـت إحـدى الكارثتَـين ناتجـةً عـن شرِّ الإنسـان، في حـين كانـت الأخـرى مجـرَّدَ حـادثٍ، عـلى مـا يبـدو.

معنى البليَّة لك

أراد الجمـوع أن يعرفـوا مـن يسـوع معنـى هـذه الأحـداث، ومـا إذا كانـت فعـلَ دينونـةٍ خاصَّـةٍ مـن الله عـلى خطايـا معيَّنـة. لكـنَّ إجابـةَ يسـوعَ كانـت مذهلـة؛ فقـد استخلص مـن هاتَـين الكارثتَـين معنًـى يخـصُّ الجميـع، وليـس فقـط الذيـن ماتـوا، قائـلًا: «كلَّا، لم يكـن الذيـن قُتلـوا عـلى يـد بيلاطـس، أو الذيـن سُـحِقوا تحـت الـبرج، خطـاةً أشرَّ منكـم أنتـم».

منكـم؟ لمـاذا أثـار يسـوع هنـا مسـألة **خطاياهـم**؟ لم يكُـنِ الجمـوع يطلبـون رأيـه بشـأن **خطاياهـم**؛ فقـد انتابهـم الفضـولُ بشـأن الآخريـن، وأرادوا أن يعرفـوا مـا كانـت تعنيـه هـذه الكـوارث لضحاياهـا، وليـس لهـم.

هـذا مـا جعـلَ إجابـةَ يسـوع مذهلـةً وعجيبـة؛ فقـد قـال مـا مضمونـه إنَّ معنـى هـذه الكـوارث يخـصُّ **الجميـع**. وكانـت رسـالته هـي: «توبـوا، وإلَّا سـتهلِكون»، مكـرِّرًا إيَّاهـا مرَّتَـين: «بَـلْ إِنْ لَـمْ تَتُوبُـوا فَجَمِيعُكُـمْ كَذَلِـكَ تَهْلِكُـونَ» (لوقـا ١٣: ٣)، «بَـلْ إِنْ لَـمْ تَتُوبُـوا فَجَمِيعُكُـمْ كَذَلِـكَ تَهْلِكُـونَ» (١٣: ٥).

دعوةٌ رحيمةٌ بينما لا يزال هناك وقتٌ

مـاذا فعـل يسـوع هنـا؟ كان يسـوع يُعيـدُ توجيـهَ دهشـة النـاس؛ فالدهشـةُ التـي دفعَـتْ هـؤلاء إلى طَـرْح سـؤالهم عـلى يسـوع كانـت في غـير محلِّهـا. لقـد اندهشـوا؛ لأنَّ بعـضَ النـاس قُتِلـوا بهـذه

القسـوة، وبعضهـم الآخـر سُـحِقوا بـلا هـدف أو معنـى. لكـنَّ يسـوعَ قـال لهـم: «أريدُكـم أن تندهشـوا **لأنَّكـم** لم تكونـوا ضمـن هـؤلاء الذيـن قُتلـوا أو سُـحِقوا تحـت الـبرج. ففـي حقيقـة الأمـر، إنْ لم تتوبـوا، سـتواجهون أنتـم أنفسـكم دينونـةً كهـذه يومًـا مـا».

بالاسـتناد إلى ذلـك، أسـتطيعُ اسـتنتاجَ أنَّ الله يوجِّـه إلينـا رسـالةً رحيمـةً وسـط مثـل هـذه الكـوارث، وهـي: أنَّنـا جميعًـا خطـاة، متَّجهـون صَـوب الهـلاك، وليسَـتِ الكـوارث سـوى دعـوةٍ رحيمـةٍ مـن الله لنتـوبَ ونَخلُـص بينـما لا يـزال هنـاك وقـتٌ. فقـد حـوَّل يسـوع نظـرَه مـن الأمـوات إلى الأحيـاء، وقـال مـا مفـاده: «يجـب ألَّا نتكلَّـم عـن الأمـوات، بـل عنكـم **أنتـم**. هـذا أمـرٌ أكـثرُ إلحاحًـا؛ فـما حـدث لهـم يتعلَّـق **بكـم أنتـم**. لا تكمُـن أكـبر مشـكلاتكم في **خطيَّتهـم** هـم، بـل في **خطيَّتكـم** أنتـم». وأعتقـد أنَّ هـذه هـي رسـالة الله للعـالم وسـط وبـاء فـيروس كورونـا هـذا. فهـو

يدعـو العـالم إلى التوبـة بينـما لا يـزال هنـاك وقــتٌ.

ما معنى التوبة؟

فلنكُـنْ أكـثرَ تحديـدًا. مـا معنـى كلمـة **توبـة**؟ تعنـي هـذه الكلمـة في العهـد الجديـد تغيـيرًا في القلـب والذهـن، وهـو ليـس تغيـيرًا سـطحيًّا في الـرأي، بـل تحـوُّلٌ داخـليٌّ عميـق، يجعلنـا نـدركُ ونقـدِّر القيمـةَ الحقيقيَّـة لله ويسـوع المسـيح. وصـف يسـوع هـذا التغيـير كالتـالي:

> «فَقَـالَ لَـهُ يَسُـوعُ: تُحِـبُّ الـرَّبَّ إِلَهَـكَ مِـنْ كُلِّ قَلْبِـكَ وَمِـنْ كُلِّ نَفْسِـكَ وَمِـنْ كُلِّ فِكْـرِكَ» (متَّـى ٢٢: ٣٧)

> «مَـنْ أَحَـبَّ أَبًـا أَوْ أُمًّـا أَكْـثَرَ مِنِّـي فَـلا يَسْتَحِقُّنِي. وَمَـنْ أَحَـبَّ ابْنًـا أَوِ ابْنَـةً أَكْـثَرَ مِنِّـي فَـلا يَسْـتَحِقُّنِي» (متَّـى ١٠: ٣٧).

بمعنى آخر، أهمُّ تغيير في القلب والذهن تدعو إليه التوبة هو أن نقدِّر قيمةَ الله، ونتعلَّق به من كلِّ كِياننا، وأن نقدِّرَ أيضًا قيمةَ يسوع، ونتعلَّق به فوق أيَّةِ علاقةٍ أخرى.

لمَ قد يهدِّدنا يسوع بالهلاك؟

يعود سبب قَول يسوع إنَّنا إنْ لم نتُبْ فجميعنا كذلك نَهلِك إلى أنَّنا جميعًا استبدَلْنا بالله، الذي هو كنزنا، أمورًا أقلَّ قيمةً منه، وأحبَبْناها أكثر منه (رومية ١: ٢٢-٢٣)، وإلى أنَّنا تعاملنا جميعًا مع يسوع كما لو كان أقلَّ جاذبيَّةً من المال والتسلية والأصدقاء والعائلة. لَسْنا نستحقُّ جميعًا الهلاكَ؛ لأنَّنا خالفْنا قائمةً من القواعد، بل لأنَّنا ازدرَينا بقيمةٍ غير محدودة — بالقيمةِ غير المحدودة لله في يسوع المسيح.

الانتباه إلى تفضيلاتنا الانتحاريَّة

تعني التوبة إذًا أن ننتبهَ جيِّدًا إلى تفضيلنا الانتحاريِّ للنحاس على الذهب، وللأساسات الرمليَّة على الصخر المتين، وللَّعب في قنوات مياه الصرف على قضاء عطلةٍ على شاطئ البحر. كتب سي. أس. لِويس هذه الكلمات:

> «نحن مخلوقاتٌ فاترةُ القلب، تُضيِّع حياتَها في السُّكر والطموح والعلاقات الجنسيَّة بينما يُعرَض علينا **فرحٌ غير محدود**. فإنَّنا نشبه طفلًا جاهلًا يرغب في الاستمرار في صُنْع فطائرَ من الطين في حيٍّ فقير؛ لأنَّه لا يستطيع تخيُّل معنى عرضٍ مقدَّم له بقضاء عطلة على شاطئ البحر. فنحن نرضى بأقلِّ القليل بسهولةٍ زائدةٍ عن الحدّ».[٨]

«هذا الفرح غير المحدود» الذي تحدَّث لِويس بشأنه هو أن نختبرَ رؤيةَ قيمةِ المسيح وجماله وعظمته، والاستمتاع بمذاقها، والتحدُّث عنها.

دَفْعُنا إلى الاتِّكال على المسيح

ما يفعله الله بواسطة فيروس كورونا هو أنَّه يُرينا — بصورةٍ واضحةٍ ومؤلمة — أنْ لا شيءَ في هذا العالم يمنحنا الأمانَ والشبع اللذَين نجدهما في عَظَمة المسيح وقيمته غير المحدودتَين. فقدِ انتزعَ هذا الوباء العالميُّ منَّا حرِّيَّة الحركة والعمل وعلاقاتنا بالآخرين وجهًا لوجه، كما انتزع أمانَنا وراحتَنا، وربَّما ينتزعُ في النهاية حياتَنا.

ويعرِّضنا الله لمثل هذه الخسائر كي يدفعَنا إلى الاتِّكال على المسيح. بتعبيرٍ آخر، يجعلُ الله من البليَّة فرصةً ليقدِّمَ المسيحَ إلى العالم؛ لأنَّ عظمةَ المسيح الفائقة والمشبِعة إلى التمام

تتجلَّى بمزيدٍ من البريق حين يحفظُ المسيحُ فرحَنا في خِضَمِّ الألم.

عطيَّةُ اليأس

فكِّر معي، مثلًا، في السبب الذي لأجله أوصلَ الله بولس إلى حدِّ اليأس من الحياة:

«فَإِنَّنَا لا نُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ ضِيقَتِنَا الَّتِي أَصَابَتْنَا فِي أَسِيَّا، أَنَّنَا تَثَقَّلْنَا جِدًّا فَوْقَ الطَّاقَةِ، حَتَّى أَيِسْنَا مِنَ الْحَيَاةِ أَيْضًا. لَكِنْ كَانَ لَنَا فِي أَنْفُسِنَا حُكْمُ الْمَوْتِ، لِكَيْ لا نَكُونَ مُتَّكِلِينَ عَلَى أَنْفُسِنَا بَلْ عَلَى اللهِ الَّذِي يُقِيمُ الأَمْوَاتَ»

(٢كورنثوس ١: ٨-٩)

لم يكن بولس يرى أنَّ اختبارَ اليأس من الحياة هذا شيطانيٌّ أو عشوائيّ، بل رأى أنَّ له غرضًا

وقصدًا، وأنَّ هذا القصدَ هو قصدُ الله؛ فإنَّ هذه الخبرة التي هدَّدتْ حياتَه كانت «لِكَيْ لا نَكُونَ مُتَّكِلِينَ عَلَى أَنْفُسِنَا بَلْ عَلَى اللهِ الَّذِي يُقِيمُ الأَمْوَاتَ» (٢كورنثوس ١: ٩).

هذه هي رسالة فيروس كورونا: توقَّفوا عن الاتِّكال على أنفسكم والتفتوا إلى الله. لا يمكنكم حتَّى أن **تمنعوا** الموت، لكنَّ الله يستطيع أن **يُقيمَ** الأموات. وقطعًا، لا يعني «الاتِّكال على الله» أن يصيرَ المؤمنون خاملين وسلبيِّين. لم يكُنِ المؤمنون يومًا خاملين أو سلبيِّين، بل يعني أن يصيرَ أساسُ كلِّ ما نفعله ونموذجُه وهدفُه هو الله. كما قال بولس: «بَلْ أَنَا تَعِبْتُ أَكْثَرَ مِنْهُمْ جَمِيعِهِمْ. وَلَكِنْ لا أَنَا بَلْ نِعْمَةُ اللهِ الَّتِي مَعِي» (١كورنثوس ١٥: ١٠).

يدعونا فيروس كورونا لأنْ نجعلَ الله الحقيقةَ السائدةَ والأهمَّ في حياتنا. فإنَّ حياتَنا تعتمدُ عليه أكثرَ ممَّا تعتمدُ حتَّى على

أنفاسنا. وفي بعض الأحيان، يحبسُ الله أنفاسَنا حتَّى يجعلنا نرتمي على صدره.

معنى الأشواك

فلنتأمَّلْ معًا أيضًا في قصد الله من شوكةِ بولسَ المؤلمة التي أصابَتْه في جسده:

«وَلِئَلَّا أَرْتَفِعَ بِفَرْطِ الإِعْلاَنَاتِ، أُعْطِيتُ شَوْكَةً فِي الْجَسَدِ، مَلاَكَ الشَّيْطَانِ، لِيَلْطِمَنِي لِئَلَّا أَرْتَفِعَ. مِنْ جِهَةِ هَذَا تَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلاثَ مَرَّاتٍ أَنْ يُفَارِقَنِي. فَقَالَ لِي: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضُّعْفِ تُكْمَلُ». فَبِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي ضَعَفَاتِي، لِكَيْ تَحِلَّ عَلَيَّ قُوَّةُ الْمَسِيحِ» (٢كورنثوس ١٢: ٧-٩).

لقد بورِك بولس بإعلاناتٍ عظيمة. وبينما رأى الله في ذلك خطورةَ الكبرياء، رأى الشيطان

خطورةَ الحقِّ والفرح. لكنْ تَحَكَّمَ اللهُ في مخطَّطات الشيطان، بحيث إنَّ ما ظنَّ الشيطان أنَّه سيفسدُ شهادةَ بولس ويخرِّبها قد أثمر في الواقع اتِّضاعًا وسرورًا لدى بولس. أصيبَ بولس بشوكةٍ في الجسد — «مَلاكَ [أو رسول] الشَّيْطَانِ» — لكنَّها كانت في الواقع رسولًا من الله. ورُغمَ أنَّنا لا نعرفُ ما كانت عليه طبيعة هذه الشوكة، فإنَّنا نعرفُ جيِّدًا أنَّ الأشواكَ مؤلمة، وأنَّ بولس تضرَّعَ إلى الربِّ ثلاثَ مرَّاتٍ كي تفارقه تلك الشوكة.

لكنَّ الربَّ لم يفعل ذلك؛ إذ كان لديه قصدٌ من هذا الألم: «لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضُّعْفِ تُكْمَلُ» (٢كورنثوس ١٢: ٩). كان قصده أن يشعَّ المسيح، بواسطة إيمان بولس وفرحه غير المتزعزعَين، بصفته أفضلَ وأعلى قيمةً من الصحَّة ذاتها. وماذا كان ردُّ فعل بولس تُجاهَ هذا القصد؟ «بِكُلِّ **سُرُورٍ** أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي ضَعَفَاتِي» (٢كورنثوس ١٢: ٩).

بكلِّ سرور! كيف يمكن أن يكونَ هذا؟ لماذا كان بولس على استعداد لأنْ يقبلَ شوكتَه بسرور؟ لأنَّ هدفَه الأكبر في الحياة كان أن يتعظَّم المسيح في جسده، سَوَاءٌ كَانَ بِحَيَاةٍ أَمْ بِمَوْتٍ (فيلبِّي ١: ٢٠). كان هذا هو مصدرَ فرح بولس وسروره — أن يرى جمال المسيح، ويقدِّرَ قيمته بصفته كنزَه الفائق، وأن يُظهِر للعالم أنَّ يسوعَ أفضلُ من الصحَّة والحياة. هناك قصيدة رائعة بعنوان «الشوكة» (The Thorn)، كتبتها مارثا سنيل نيكولسون (Martha Snell Nicholson)، والتي عاشَتْ ما بين عامَي ١٨٩٨ و١٩٥٣م، وتُختتَم بهذه الكلمات:

«تعلَّمتُ أنَّه لا يعطي شوكةً بتاتًا دون نعمةٍ إضافيَّة؛
فهو يعطي الشوكة كي يزيحَ الحجابَ الذي يُخفي وجهه».

في الخسارة ربحٌ

قَبِل بولس أن يخسرَ؛ لأنَّه يربح المسيح أكثر فأكثر بهذه الخسارة:

«بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ» (فيلبِّي ٣: ٨).

هذا هو إذًا معنى التوبة: أن تختبرَ تغييرًا في القلب والذهن، يقدِّر قيمةَ الله في المسيح، ويراه أفضلَ من الحياة ذاتها. «لأَنَّ رَحْمَتَكَ **أَفْضَلُ مِنَ الْحَيَاةِ**. شَفَتَايَ تُسَبِّحَانِكَ» (مزمور ٦٣: ٣). كان هذا هو إيمانَ بولس، وكان هذا الإيمانُ حقيقيًّا في الحياة وفي الموت: في الحياة؛ لأنَّ المسيح هو حلاوةُ أيَّةِ لذَّة، وأفضل من أيَّة لذَّة، وفي الموت؛ لأنَّ «أَمَامَكَ [أمام الله] شِبَعُ سُرُورٍ. فِي يَمِينِكَ نِعَمٌ إِلَى الأَبَدِ» (مزمور ١٦: ١١).

إنَّ وباءَ كورونا هو اختبار خسارة — من أبسط خسارةٍ لوسائل الراحة، وحتَّى أكبر خسارة للحياة نفسها. وإذا استطعنا أن نعرفَ سرَّ فرح بولس، فسوف نجتاز هذه الخسارة حاسبين إيَّاها ربحًا. هذا ما يقوله الله للعالم: توبوا، وأَعيدوا تناغُمَكم مع القيمة غير المحدودة للمسيح.

الفصل العاشر:
إيجاد أعمالٍ حَسَنةٍ
وسطَ الخطر

الإجابة الخامسة

إنَّ فيروس كورونا هو دعوةُ الله
الموجَّهة إلى شعبه كي يتغلَّبوا على
رثاء النفس والخوف، ويمارسوا
أعمالَ المحبَّة الحَسَنة التي تمجِّد
الله بفرح متَّسم بالشجاعة.

علَّم يسوع أتباعه قائلًا: «فلْيُضِئْ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ وَيُمَجِّدُوا

أَبَاكُـمُ الَّـذِي فِي السَّـمَاوَاتِ» (متَّـى ٥: ١٦). لكـنْ عــادةً مــا يفوتنــا أن نلاحــظَ أنَّ ملوحــةَ أتبــاع المسـيح لـلأرض، وبريقهـم كنـورٍ للعـالم يـزدادان حـين يمارسـون هــذه الأعــمال الحَسَــنة حتَّــى وســط الألم والمعانــاة.

اللمعان وسط ظُلمة الخطر

كان يسـوع قـد قـال لتلاميـذه قبـل تلـك الآيـة بقليـل: «طُـوبَى لَكُـمْ إِذَا عَيَّرُوكُـمْ وَطَرَدُوكُـمْ وَقَالُـوا عَلَيْكُـمْ كُلَّ كَلِمَــةٍ شِرِّيــرَةٍ مِــنْ أَجْــلِي كَاذِبِــينَ. افْرَحُـوا وَتَهَلَّلُـوا لأَنَّ أَجْرَكُـمْ عَظِيـمٌ فِي السَّـمَاوَاتِ» (متَّــى ٥: ١١-١٢). ثــمَّ تابــعَ، دون أيِّ فاصــل، قائـلًا: «أَنْتُـمْ مِلْـحُ الأَرْضِ ... أَنْتُـمْ نُـورُ الْعَالَـمِ» (متَّــى ٥: ١٣-١٦).

ليســت إذًا الأعــمال الحســنة فحســب هــي التــي تُضفــي عــلى المســيحيَّة نكهتَهــا القويَّــة وبريقهـا، بـل أيضًـا الأعـمال الحسـنة رغـم الخطـر.

كثيرون من غير المسيحيِّين يمارسون أعمالًا حَسَنة، لكنْ نادرًا ما يمجِّد الناسُ الله بسببها.

صحيحٌ أنَّ الخطرَ في الأصحاح الخامس من إنجيل متَّى كان الاضطهاد، وليس المرض، لكنَّ المبدأَ واحدٌ في كلتا الحالتَين. تشير أعمال المحبَّة في خِضَمِّ الخطر، سواء كان المرض أم الاضطهاد، بأشدِّ وضوحٍ إلى حقيقةِ أنَّ هذه الأعمال مؤيَّدةٌ برجاءٍ في الله. مثلًا، قال يسوع:

> «بَلْ إِذَا صَنَعْتَ ضِيَافَةً فَادْعُ الْمَسَاكِينَ: الْجُدْعَ الْعُرْجَ الْعُمْيَ فَيَكُونَ لَكَ الطُّوبَى إِذْ لَيْسَ لَهُمْ حَتَّى يُكَافُوكَ لأَنَّكَ تُكَافَى فِي قِيَامَةِ الأَبْرَارِ» (لوقا ١٤: ١٣-١٤).

فإنَّ الرجاء في الله من جهةِ ما بعد الموت («لأَنَّكَ تُكَافَى فِي قِيَامَةِ الأَبْرَارِ») هو الذي يدعم ويؤيِّد بالقوَّة الأعمال الحسنة، التي لا تنتظر أيَّة مكافأةٍ في هذا العالم. وينطبقُ الأمرُ ذاته

على الأعمال الحسنة التي تضعُنا في خطر، ولا سيَّما خطر الموت.

الكيفيَّة التي طبَّق بها بطرسُ تعليمَ يسوع

استفاضَ الرسول بطرس، أكثر من أيِّ كاتبٍ آخرَ في العهد الجديد، في حديثه بشأن تعليم يسوع الواضح عن الأعمال الحسنة:

> «وَأَنْ تَكُونَ سِيرَتُكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ حَسَنَةً، لِكَيْ يَكُونُوا فِي مَا يَفْتَرُونَ عَلَيْكُمْ كَفَاعِلِي شَرٍّ يُمَجِّدُونَ اللهَ فِي يَوْمِ الافْتِقَادِ، مِنْ أَجْلِ أَعْمَالِكُمُ الْحَسَنَةِ الَّتِي يُلاَحِظُونَهَا» (١بطرس ٢: ١٢).

كذلك، طرحَ بطرس الرسول فكرةَ الأعمال الحسنة التي تُمارَسُ وسط الخطر قائلًا: «فَإِذًا، الَّذِينَ يَتَأَلَّمُونَ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ فَلْيَسْتَوْدِعُوا أَنْفُسَهُمْ كَمَا لِخَالِقٍ أَمِينٍ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ»

(١بطرس ٤: ١٩). بمعنى آخر، لا تدعِ احتماليَّة الألم أو حقيقتَه تحولُ دون ممارستِك الأعمالَ الحسنة.

مات المسيح كي يوجِدَ أعمالًا حسنةً وسط الخطر

ربطَ بطرس هذا النوع الجديد من الحياة بموت يسوع عن خطايانا: «الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ [المسيحِ] خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا **فَنَحْيَا لِلْبِرِّ**» (١بطرس ٢: ٢٤). فبسبب المسيح، يُميتُ المؤمنون الخطيَّة، وينكبُّون على ممارسةِ أعمال البرِّ الصالحة.

وقد أقامَ بولس الرسول هذه الصِّلةَ نفسَها ما بين موت يسوع وغَيرة المؤمنين في الأعمال الحسنة، حين قال: «الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ [المسيح] لأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ،

وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خاصًّا **غَيُورًا فِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ**» (تيطس ٢: ١٤).

كذلك، أوضح بولس أنَّ هذه الأعمال الحسنة موجَّهة إلى المؤمنين وغير المؤمنين. «فَإِذًا حَسْبَمَا لَنَا فُرْصَةٌ فَلْنَعْمَلِ الْخَيْرَ **لِلْجَمِيعِ**، وَلا سِيَّمَا لأَهْلِ الإِيمَانِ» (غلاطِيَّة ٦: ١٠)، «انْظُرُوا أَنْ لا يُجَازِيَ أَحَدٌ أَحَدًا عَنْ شَرٍّ بِشَرٍّ، بَلْ كُلَّ حِينٍ اتَّبِعُوا الْخَيْرَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ **وَلِلْجَمِيعِ**» (١تسالونيكي ٥: ١٥).

يتعظَّم المسيح في اللطف المجازِف

إنَّ الهدفَ الأساسيَّ الذي عيَّنه الله لشعبه هو أن يمجِّدوا عَظَمَتَه، ويعظِّموا قيمةَ ابنه، يسوع المسيح، «فَإِذَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ أَوْ تَشْرَبُونَ أَوْ تَفْعَلُونَ شَيْئًا فَافْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ لِمَجْدِ اللهِ» (١كورنثوس ١٠: ٣١)، «حَسَبَ انْتِظَارِي وَرَجَائِي ... يَتَعَظَّمُ الْمَسِيحُ فِي جَسَدِي، سَوَاءٌ كَانَ بِحَيَاةٍ أَمْ بِمَوْتٍ» (فيلبِّي ١: ٢٠). فالهدفُ هو أن

يتمجَّــد الله في كلِّ شيء، وأن يتعظَّــمَ المســيح في الحيــاة والمــوت أيضًــا. هــذا هــو الهــدفُ الأســمى المعــيَّن مــن الله للحيــاة البشريَّــة.

وهكــذا، فــإنَّ أحــدَ مقاصــد الله مــن فــيروس كورونــا هــو أن يعمــلَ شــعبُه عــلى إماتــةِ رثــاءِ النفــس والخــوف، ويَهَبــوا أنفســهم للأعــمال الحســنة وســط الخطــر. فالمؤمنــون يَميلــون أكثرَ إلى تســديد الحاجــات، لا نحــو الراحــة؛ وإلى المحبَّــة، لا نحــو الشــعور بالأمــان. هكــذا هــو مخلِّصنــا، وهــذا مــا مــات لأجلــه.

مثالٌ من الكنيسة الأولى

تحــدَّث رودني ســتارك (Rodney Stark)، في كتابــه بعنــوان: «انتصــارُ المســيحيَّة» (*The Triumph of Christianity*) بــأنَّ المبــدأ الأهــمَّ الــذي ســادَ في القــرون الأولى للكنيســة المســيحية هــو «أنَّ المحبَّــة المســيحيَّة وأعــمال الخــير ينبغــي أن تتجــاوزَ حدودَ

العائلة، بل أيضًا حدودَ دائرة المؤمنين، لتصلَ إلى كلِّ المحتاجين».[٩]

ضُرِبتِ الإمبراطوريَّة الرومانيَّة بوباءَين في العامَين ١٦٥ و٢٥١م. وخارج الكنيسة المسيحية، لم يكُنْ هناك أيُّ أساسٍ ثقافيٍّ أو دينيٍّ يدعو إلى الرحمة والبذل. «لم يكن هناك إيمانٌ بأنَّ الآلهة يكترثون بشؤون البشر»[١٠]، «وكانت الرحمة تُعدُّ خللًا في الشخصية، والشفقةُ عاطفةً مَرَضيَّة؛ لأنَّ الرحمة تتعلَّق بتقديم مساعدة أو نجدةٍ **غير مستحَقَّة**، وهذا نقيض العدل».[١١]

وهكذا بينما كان ثُلث الإمبراطوريَّة يهلِك جرَّاء المرض، هربَ الأطبَّاء إلى أراضيهمَ في الريف، وكان الذين تظهر عليهم الأعراض يُطرَدون من البيوت، وهجرَ الكهنةُ المعابد. لكن قال ستارك: «ادَّعى المسيحيُّون أنَّ لديهم كافَّة الأجوبة، والأهمُّ من ذلك، أنَّهم تحرَّكوا، وتصرَّفوا على نحوٍ سليم».[١٢]

تضمَّنت **الأجوبة** غفران الخطايا بواسطة المسيح، والرجاء في الحياة الأبديَّة بعد الموت. كانت هذه رسالةً ثمينةً في وقتٍ من العجز الطبِّيِّ واليأس التامّ.

أمَّا من جهة **الأفعال**، فقد اعتنَتْ أعدادٌ كبيرةٌ من المسيحيِّين بالمرضى والمُحْتَضَرين. وقربُ نهاية الوباء الثاني، كتب ديونيسيوس، أسقف الإسكندريَّة، رسالةً يشيدُ فيها بأعضاء كنيسته، قائلًا:

> «أظهر معظم إخوتنا محبَّة وإخلاصًا لا حدود لهما، حيث لم يبخلوا بأنفسهم، بل آثَروا غيرَهم. وإذ لم يُلقوا بالًا للخطر، تولُّوا مسؤوليَّة المرضى، ملبِّين كلَّ حاجاتهم، ومعتَنين بهم في المسيح، بل مفارقين معهم أيضًا هذه الحياة في سعادة هادئة».[١٣]

إسكات جهل الأباطرة

بمرور الزمن، تركَ هذا الاعتناء — المضادُّ للثقافة السائدة والمؤيَّد من المسيح — بالمرضى والفقراء أثرًا هائلًا في رِبْح الكثيرين، وانتشالهم من الوثنيَّة المحيطة بهم. ثمَّ بعدَ مرور قرنَين، حين أراد الإمبراطور الرومانيُّ جوليان (٣٣٢-٣٦٣م) أن يُعيدَ إحياءَ الديانة الرومانيَّة القديمة مرَّةً أخرى، حاسبًا المسيحيَّة مصدرَ تهديدٍ متزايد، كتبَ في إحباط إلى رئيس الكهنة الرومانيِّ في مقاطعة غلاطِيَّة رسالة جاء فيها:

> «لقد تقدَّم الإلحاد [أي الإيمان المسيحيّ] لا سيَّما بواسطة خدمة المحبَّة التي يقدِّمها هؤلاء للغرباء، واهتمامهم بدفن الموتى. إنَّه لعارٌ وفضيحةٌ أنْ لا أحدَ من هؤلاء اليهود يستعطي، وأنَّ هؤلاءِ الجليليِّين الذين لا إله لهم [أي المسيحيِّين] يعتنون ليس

فقـط بفقرائهـم، بـل أيضًـا بفقرائنـا نحن، في حــين يطلــب الذيــن ينتمــون إلينــا المســاعدة منَّــا دون جــدوى».[١٤]

تخفيفُ الألم المرسَل من الله

لا يوجـد تناقُـضٌ بـين حسـابننا فـيروس كورونـا عمـلًا مـن الله، ودعوتنـا للمؤمنـين إلى المجازَفـة للتخفيـف مـن الألم الـذي يتسـبَّب فيـه. فمنـذ أن أخضـعَ الله العـالم للخطيَّـة والشـقاء عند السـقوط، عـيَّن وقـضى أن يسـعى شـعبه إلى إنقـاذ الهالكـين، حتَّـى وإنْ كان هـو نفسـه مَـن عـيَّن دينونـةَ الهـلاك. فقـد جـاء الله نفسـه إلى العـالم في يسـوع المسـيح حتـى ينجِّـيَ البـشر مـن دينونتـه العادلـة (روميـة ٥: ٩). هـذا هـو معنـى صليـب المسـيح.

وبهـذا، تشـمل أعـمال شـعب الله الحسـنة الصـلاة مـن أجـل شـفاء المـرضى، وحتَّـى يوقِـفَ الله يـده، ويحـوِّل عنَّـا الوبـاء، ويدبِّـر العـلاج. فإنَّنـا نصـلِّي لله في أثنـاء تفـشِّي فـيروس كورونـا، ونعمـل

على تخفيف الآلام التي يُسبِّبُها، تمامًا كما صلَّى إبراهام لينكولن من أجل انتهاء الحرب الأهليَّة، وعمل على إنهائها، وإنْ كان يحسبُها دينونةً من الله:

«نأملُ بشدَّةٍ- ونصلِّي بحرارة — أن تمضيَ عنَّا سريعًا كارثةُ هذه الحرب العاتية. لكنْ، إنْ شاءَ الله لها أن تستمرّ، حتَّى تُغرقَ جميع الثروات التي كوَّمها العبيد على مدى مئتين وخمسين عامًا من الكدِّ والعمل دون أجرٍ، وحتَّى يسدَّد ثمنُ كلِّ قطرةِ دماء أراقتها السياط بقطرةِ دماءٍ أخرى تراقُ بالسيف، فإنَّنا سنظلُّ نردِّد، كما قيل منذ ثلاثة آلاف سنة: 'أَحْكَامُ الرَّبِّ حَقٌّ عَادِلَةٌ كُلُّهَا'».

لدى الله عملٌ يقوم به، وقدرٌ كبيرٌ منه محتجبٌ وسرِّيّ. كذلك، لدينا نحن أيضًا عملٌ

نقـومُ بـه. وإنْ كنَّـا نثـقُ بـالله، ونطيـع كلمتـه، فسـوف يجعـل سـيادته، وكذلـك خدمتنـا نحـن، تُتَمِّـمان مقاصـدَه الحكيمـةَ والصالحـة.

الفصل الحادي عشر: خلخلَةُ جذورنا كي نذهب إلى الأمم

الإجابة السادسة

بواسطة فيروس كورونا، يُخَلْخِلُ الله جذورَ المؤمنين المستقرِّين في جميع أنحاء العالم، كي يطلقَهم لفعل شيءٍ جديدٍ وجذريّ، وكي يرسلهم بإنجيل المسيح إلى شعوبِ العالم التي لم يصل إليها الإنجيل بعدُ.

ربَّما يبدو رَبْطُ فيروس كورونا بالإرساليَّات فكرةً غريبة؛ إذ نرى، على المدى القصير، فيروس كورونا يحظرُ السفر والهجرة وتقدُّم العمل المرسليّ. لكنَّني لا أفكِّر على المدى القصير؛ فلطالما استخدمَ الله الألم والاضطراباتِ التي وقعت في التاريخ لنَقْل كنيسته إلى أماكنَ كان يجب أن تذهبَ إليها. وأفترضُ أنَّه سيفعل ذلك مرَّةً أخرى ضمن التأثير طَويل المدى لفيروس كورونا.

الاضطهاد بوصفه استراتيجيَّةً إرساليَّةً

انظر، مثلًا، كيف نقل الله شعبه خارج أورشليم في إرساليَّة إلى اليهوديَّة والسامرة. فقد أوصى يسوع تلاميذه بأن يكرزوا بالإنجيل إلى العالم أجمع، بما في ذلك «أُورُشَلِيم وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ» (أعمال الرسل ١: ٨). لكنْ بحلولِ زمنِ أحداثِ الأصحاح الثامن من

سفر أعمال الرسل، بدا كما لو كانت الإرساليَّة قد توقَّفت عند أورشليم.

وماذا تطلَّب تحريكُ الكنيسة لإتمام إرساليَّتها؟ تطلَّب هذا موتَ استفانوس، والاضطهادَ الذي تَرتَّب عليه؛ فبعدَ استشهاد استفانوس مباشرةً (أعمال الرسل ٧: ٦٠)، اندلعَتْ نيرانُ الاضطهاد:

«وَحَدَثَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ اضْطِهَادٌ عَظِيمٌ عَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ فَتَشَتَّتَ الْجَمِيعُ فِي كُوَرِ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ مَا عَدَا الرُّسُلَ ... فَالَّذِينَ تَشَتَّتُوا جَالُوا مُبَشِّرِينَ بِالْكَلِمَةِ» (أعمال الرسل ٨: ١-٤).

هكذا حرَّك الله شعبه بواسطة الاستشهاد والاضطهاد. وأخيرًا، سمعت «اليهوديَّة والسامرة» الإنجيل. فإنَّ طرق الله ليسَتْ طُرُقَنا، لكنَّ نجاحَ إرساليَّته أكيدٌ وحتميّ. هذا هو ما

قاله يسوع، ولا يمكن أن تسقط كلمته: «عَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا» (متَّى ١٦: ١٨)، «**وَيُكْرَزُ** بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هَذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الأُمَمِ» (متَّى ٢٤: ١٤). لم يقُلِ المسيح: «ربَّما يُكرَز»، بل قال: «يُكْرَزُ».

الانتكاساتُ بوصفها استراتيجيَّةً للتقدُّم

ربَّما نظنُّ أنَّ وباء فيروس كورونا هو انتكاسةٌ للإرساليَّات في العالم. لكنِّي أشكُّ في ذلك؛ فكثيراً ما تتضمَّنُ طرق الله انتكاساتٍ ظاهريَّةً يَنتُج عنها تقدُّم كبير.

في ٩ كانون الثاني/يناير من عام ١٩٨٥م، قُبِضُ على القسِّ هريستو كوليتشيف (Hristo Kulichev)، أحد رعاة الكنائس في بلغاريا، وأُلقِي في السجن. كانت جريمته تتمثَّل في تقديمه عظةً في كنيسته رغم أنَّ الحكومةَ

عيَّنَتْ رجلًا آخرَ راعيًا للكنيسة، لم تنتخبْه الكنيسة. كانت محاكمتُه مهزلةً وعبثًا، وحُكِم عليه بالسجن مدَّة ثمانية أشهر. وفي أثناء الوقت الذي أمضاه هذا القسُّ في السجن، كرزَ بالمسيح بكلِّ وسيلةٍ ممكنة.

وبعد خروجه من السجن، كتبَ هذه الكلمات: «طرحَ كلٌّ من السجناء وحرَّاس السجن الكثيرَ من الأسئلة، وتبيَّنَ لي أنَّ الخدمةَ هناك كانت مثمرةً أكثرَ من الخدمة داخل الكنيسة؛ فقدِ استطعتُ أن أخدمَ الله في السجن بصورةٍ أفضل بكثيرٍ ممَّا لو كنتُ حرًّا».[15]

كثيرًا ما تكون هذه هي طريقة الله. فإنَّ خطورة فيروس كورونا، والنطاقَ العالميَّ لانتشاره، هو فرصةٌ أهمُّ وأعظم من أن يهدرَها الله. وهي ستخدمُ قصدَه الشامل والذي لا يُهزَم من جهة الكرازة إلى العالم. لم يسفكِ المسيح دمَه باطلًا. ونقرأ في سِفرِ الرؤيا ٥: ٩ أنَّه بذلك الدم اشترى لله شعبًا «مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ

وَشَـعْبٍ وَأُمَّـةٍ». وهـو حتـمًا سـينال مكافـأة آلامـه. وحتَّـى الأوبئـة نفسـها سـتعملُ عـلى إتمـام

الإرسـاليَّة العظمـى.

صلاةٌ ختاميَّة

أيُّها الآب،

في أفضل لحظاتِ حياتنا في جَثْسَيماني، لم يغلِبْنا النوم، بنعمتك، بل بقينا ساهرين نصغي إلى صلاةِ ابنك. فقد كان يعرف، في أعماقه، أنَّه لا بُدَّ أن يتألم، لكنَّه صرخَ في ناسوته الكامل: «إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ».

كذلك نحن أيضًا، نشعر في أعماقنا بأنَّ هذا الوباء معيَّن بحكمتك للخير، ولأجل إتمام مقاصدَ ضروريَّة. نحن أيضًا لا بُدَّ أن نتألَّم، لكنْ في حين كان ابنُك بريئًا، لسنا نحن كذلك.

لكنَّنا معه، في بشريَّتنا الأقلِّ من أن تكونَ كاملة، نصرخ أيضًا: «إنْ أمكن فلتَعبُرْ عنَّا هذه الكأس». يا ربَّنا، تمِّم سريعًا ذلك العمل

المؤلم والعادل والرحيم الذي عزمتَ أن تفعله. لا تتوانَ في الدينونة، ولا تؤخِّر رحمتك. اذكر البائسين، يا ربّ، حسب رحمتك. ولا تنسَ صراخَ المساكين. أعطِ شفاءً، ودبِّر علاجًا. نصلِّي أن تخلِّصنا — نحن خليقتَك المسكينةَ والعاجزة — من هذه الأحزان.

نصلِّي، يا ربُّ أيضًا ألَّا تضيِّع بؤسَنا وحزنَنا هباءً، بل نقِّ شعبَك من انشغالهم المتخاذِل بالفكر المادِّيِّ العقيم، وباللهو والتسلية بعيدًا عن المسيح. لا تسمَحْ لأفواهنا بأن تنجذبَ إلى طُعم الشيطان وتلتقطه. واخلَعْ عنَّا جذورَ الكبرياء والكراهية والظلم وبقاياها. أعْطِنا أن نثورَ على استهانتنا واستخفافنا بمجدك، وافتَحْ عيونَ قلوبنا كي ترى جمالَ المسيح وتذوقَه. أَمِلْ قلوبَنا إلى كلمتك، وإلى ابنك، وإلى طريقك. املأْنا بشجاعةٍ رحيمة. واصنعْ لنفسك اسمًا بواسطة خدمة شعبك.

مُدَّ يدَك لتُجريَ صحوةً عظيمةً من أجل هذا العالم الهالك. لا تدَعِ الكلماتِ الرهيبةَ لسفر الرؤيا تُنطَق على هذا الجيل: «وَلَمْ يَتُوبُوا عَنْ أَعْمَالِهِمْ». فكما ضربتَ الأجساد، اضرب الآن الأرواحَ الغافية. لا تسمَحْ بأنْ تظلَّ نائمةً في ظلام الكبرياء وعدم الإيمان. بل برحمتك العظيمة، قُلْ لهذه العِظام: «عيشي!» وأعِدْ قلوبَ الملايين وحياتهم إلى تناغُمها مع القيمة غير المحدودة للمسيح.

بِاسْم يسوع المسيح، آمين.

الملاحظات

١ يُعرَف هذا الوباء باسْم «الإنفلونزا الإسبانيَّة»، وقد بدأ ما بين الجنود المقاتلين في الحرب العالميَّة الأولى. وكانت الصحافة الإسبانيَّة هي أوَّل مَن كشفَ عن الوباء، فسُمِّي بالإنفلونزا الإسبانيَّة رُغم أنَّه لم يبدأ في إسبانيا (الناشر).

2 “1918 Pandemic (H1N1 Virus),” updated March 20, 2019, Centers for Disease Control and Prevention, https://www.cdc.gov/flu/pandemic-resources/1918-pandemic-h1n1.html.

٣ ويُسمَّى أيضًا العلاج المثليّ، وهو نظام علاجيٌّ وشكلٌ من أشكال الطبِّ البديل يستند إلى المبادئ التي صاغها صامويل هانيمان عام ١٧٩٦م. ويعتمد هذا العلاج على قانون أبقراط في الطبّ، والذي يقول: المثل يعالج المثل. تنصُّ نظرية المعالجة المثليَّة على أنَّ المريض يمكنُ أن يُشفى باستخدام كمِّيَّات ضئيلةٍ من المواد التي تسبِّب في جسم الشخص السليم أعراضًا مشابهةً لأعراض مرض الشخص المصاب (الناشر).

٤ قد يبدو هذا التعبير غريبًا، لكنَّ المؤلِّف سيوضحُ المقصودَ به في الفصل الرابع (الناشر).

5 Henry Martyn, *Journals and Letters of Henry Martyn* (New York: Protestant Episcopal Society, 1861), 460

6 Martyn, *Journals and Letters*, 210.

7 John Lennon, "Imagine," produced by John Lennon, Yoko Ono, and Phil Spector, Abbey Road, London, 1971.

8 C. S. Lewis, "The Weight of Glory," in *The Weight of Glory and Other Addresses* (1949; repr., New York: Harper, 2009), 26.

9 Rodney Stark, *The Triumph of Christianity: How the Jesus Movement Became the World's Largest Religion* (New York: Harper, 2011), 113.

10 Stark, *Triumph of Christianity*, 115.

11 Stark, *Triumph of Christianity*, 112.

12 Stark, *Triumph of Christianity* 116.

13 Stark, *Triumph of Christianity* 117.

14 Stephen Neill, *A History of Christian Missions*, 2nd ed. (New York: Penguin, 1986), 37–38.

15 Herbert Schlossberg, *Called to Suffer, Called to Triumph* (Portland, OR: Multnomah, 1990), 230.